
UTL AT DOWNSVIEW
D RANGE BAY SHLF POS ITEM C
39 15 03 20 01 013 3

FL 13-8-69

الانتقاد

علی

... جرجی زیدان

DS
223
Z38327
1912

Shibli Nu'mani, Muhammad
al-Intiqad

PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

Shibli Nu'mani, Muhammad
al-Intiqad

الانتقاد

(على)

كتاب التمدن الاسلامی للفاضل جرجی زیدان

للشیخ الاستاذ شبلی النعمانی الهندی

(اعتنیٰ بطبعه)

القارئ محمد عبد الولی بن العلامة الآسی المرحوم

(طبع)

فی مطبعة آسی پریس الکائنة فی محمود نگر لکنو

سنه ۱۹۱۲ء



DS
223
Z38327
1912

جدول اصلاح ما وقع في طبع هذا الكتاب من الخطأ والتصحيف

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
١	٦	رسايه	رسايسه	٦	١٣	هذه الصنيعة	هذا الصنيع
٢	١	من	.	″	٤	لترويح	لترويج
″	١٣	الخزانة	خزانة	″	٥	تصيب	يصيب
٣	١٤	حَمَّلتُ	حملت	″	٩	تغير	تغيير
″	١٥	ليس	ليست	٩	٢	بنورهم	بذورهم
″	١٧	اتبز	ابتزّ	″	٩	نهدى	المهدى
٤	١	لعرب	عرب				
″	١٣	يحرّمون	يحرمون	″	١٣	عرب	عربي
٥	١٥	امثلةٌ	امثلةً	″	١٤	عراب	عربي
٦	٢	به	بهم	١٠	٥	كوفة	الكوفة
″	٤	ابن وقاص	ابن ابي وقاص	″	٨	كوفة	الكوفة
″	٦	حيرة	الحيرة	″	″	قضايه	قضائه
″	١٤	وترميه	وترميهم	″	″	استنكفوا	لاستنكفوا

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
١٠	١٢	لايبايع	لاتبايع	١٥	٩	الهجية	الهيجية
١٢	٢	ولدا	ولدًا	١٦	١٦	يلايم	تلايم
〃	٨	مرزولين	مرذولين	〃	〃	الطبعى	الطبيعى
〃	١٠	المَل	الكمل	١٨	١٠	بادئ الظلم	بادئ بالظلم
〃	١٦	يمن	اليمن	〃	١٦	لرمتها	لرمّها
١٢	٦	الموالى	من الموالى	١٩	٤	اعتذارا	بالاعتذار
〃	١٠	المسايل	المسائل	〃	٨	مسايل	مسائل
〃	١٤	تعذر	تعذرت	١٩	١١	رمته	رمّه
〃	١٦	حسن	الحسن	〃	١٦	ولدٌ للمروان	ولدٍ لمروان
١٣	١	يكون	تكون	٢٠	١٥	بها	له
〃	٤	المسايل	المسائل	〃	١٦	الموثوقة	الموثوق
〃	١٢	يمن	اليمن	〃	١٧	يكن	تكن
١٤	١	حجاج	الحجاج	٢١	٣	المراد	مراد
〃	له	عقد الفريد	العقد الفريد	〃	٦	نال	نالت
١٥	٥	مرزولين	مرذولين	٢٢	١	انمختلفة	المختلفة

صفحه	سطر	خطأ	صواب
〃	١٣	لعلج	العلج
〃	١٦	الوليدُ	الوليدَ
٢٣	١٥	دماءًا	دماءً
٢٤	٦	ساير	سائر
〃	٧	يسر	بسر
〃	٦	الموثوقة	الموثوق
٢٦	٢	يستشن	يستثن
〃	٤	باس	بأس
〃	٥	كان	كانت
〃	〃	رافعا	رافعة
〃	〃	هادما	هادمة
〃	١٧	صنيعة	صنيع
٢٧	١	القايم	القائم
〃	٨	قايمة	قائمة
〃	١١	ثم قال"	قال" ثم
〃	١٥	اليه	اليها
〃	٢٨	طايفة	طائفة
〃	١٠	ابالجلوس	بالجلوس
〃	١٤	يجترئ	بجترئ
٣٠	٢	اجترءت	جترأت
〃	٦	امية	مية
〃	١٠	نتايج	نتائج
〃	〃	ساير	سائر
٣١	١١	الكلام	للكلام
〃	١٢	احدًا	واحدًا
٣٢	٢	للقريش	لقريش
٣٣	١	ليتس	ليس
〃	٢	زياد	زيادًا
〃	٧	ليتس	ليس
〃	١١	وسبيلة	وسيلة

صفحه	سطر	خطأ	صواب
"	١٣	الجزيّة	الجزية
"	١٥	السلامهم	اسلامهم
"	١٦	الجزيّة	الجزية
"	"	يكن	تكن
"	"	شئ	شيئا
٣٥	١	عمالٍ	عمالًا
"	٣	لحرب	الحرب
"	٨	نى	فى
"	١٦	البّ	تالّب
"	١٧	فتلوه	قتلوه
٣٦	٢	اشرس	الاشرس
"	"	اشرس	الاشرس
"	١٥	الجزير	الجزية
٣٧	٢	المؤلف	للمولف
"	١٣	لاجتراء	الاجتراء
٣٨	١	الان	الاف
"	٥	الوهبة	الرهبنة
"	٧	ولكن	لكن
"	٩	اليه هذا البحث	خاتمة هذا البحث
"	١٨	اهتدنا	اهتدينا
٣٨	١٩	خياناتها	خياناته
"	٢٠	التنغير	التغيير
٣٩	٥	اناشدك بالله	اناشدك اللّه
"	٧	شاو	شأو
"	١٥	العرب	عرب
"	"	العرب	عراب
۴٠	٦	صح نوع	بنوع
"	٨	المعاونة	معاونة

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٤٠	١٤	أنظروه	انظروا
″	١٦	حوايج	حوائج
٤١	١٠	لملك	الملك
″	١٥	حنفية	الحنفية
″	١٦	كفاءة	كفاية
٤٢	١	هذه	هذا
″	٥	خلفايهم	خلفائهم
″	٢	سوال	سوآل
٤٣	١	المودبين	المؤدبين
″	٥	ضرب	ضربت
٤٤	٥	هنا	هناك
″	١٥	الذين	ثان الذين
″	٩	بيعة	سعة
٤٥	٨	صهاديح	صهاديج
″	٥	الفا	آلاف

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٤٧		نموذا	نفوذا
″	١	المودبين	المؤدبين
″	١٤	التصحيب في	التصحيف في
٤٩	٢	رجاً	رجاء
″	٥	استودعت	استيلاعها
″	١٥	يوميذ	يومئذ
٥٠	٣	مدونوا	مدونو
″	٤	فقد	.
″	١٢	يزيد عبد	يزيد بن عبد
٥١	٨	سالة	سأله
″	١٠	الماضيين	الماضين
٥٢	١٣	الغلمين	العلمين
٥٣	٧	اذا	واذا
٥٤	١٣	موسس	مؤسس
″	١٤	تضئيقا	تضييقا

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
٥٥	١	انتها	انته	〃	١٣	اضطهدوا على	اضطهدوا
〃	٤	ذهب	ذهبت	〃	١٤	يوبه	يؤبه
〃	٧	القرات	القرآن	〃	١٦	امرة	امرأة
〃	١٥	النصبغ	التصبغ	٥٩	١	باحراج	باخراج
٥٦	١	يوموهم	بأموهم	〃	٨	بهدم	هدم
〃	٤	من	عن	〃	١٣	الخزانة	خزانة
٥٧	٦	ساموها	ساموهم	٦٠	٢	تضريح	تصريح
〃	٨	مواضع	موضع	〃	١٢	موثوقين	موثوق
〃	١١	انفهم	انوفهم	〃	١١	مّا	ما
〃	١٤	تشمأزعنها	تشمأزمنها	٦١	١	محوبها	محوها
٥٨	٢	سجنوهم	سجنوا		،	ايضاجا	ايضاحًا
〃	〃	عذبوهم	عذبوا	〃	٢	هذا	ذلك
〃	٤	تفتخربها	يفتخربها	〃	١١	قرءة	قراءة
〃	٧	خاب	خابت	〃	١٠	الايخيل	الانجيل
〃	〃	يكادلا	لايكاد	٦٢	٢	التشوقوا	تشوقوا

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
٦٢	١٧	بالاخبا	بالاخبار	〃	١٠	لسان الاردو	اللسان الاردوى
٦٣	٥	ن المسئلة	كانت المسئلة	〃	〃	احد من اهل	احد اهل
٦٤	١٠	ابن اسلام	بن سلام	〃	١١	شطرُ	شطرٌ
٦٥	١	عمووالورى	عمق السوارى	〃	١٥	الموثوقة	الموثوق
〃	٩	يكن	تكن	٧٢	١	كان ضاعت	ضاعت
	١١	يتصل	تتصل	〃	٧	عليهم	علمهم
	١٣	يكون	تكون	〃	١٣	المصر	مصر
٦٦	٣	اخبار	الاخبار	٧٣	٥	تقئيد	تقييد
٦٧	١٣	صار	صارت	٧٤	١٤	فراينا	فرأينا
٦٩	٩	امبراطورة	امبراطرة	٧٤	١٧	لنصارى اهل الشام	نصارى الشام
〃	١٧	لو	ان	٧٥	٣	التضئيق	التضييق
٧٠	٩	وشام	والشام	〃	٦	الموثوقة	الموثوق
〃	١١	حيا	حا	〃	١٦	يجزونهم	يخبرونهم
〃	١٣	ما	صا	٧٦	٩	مرجاة البضاعة	بضاعة مزجاة
٧١	١	الخزانة	خزانة	〃	١٠	اسماعًا	اسماءً

صفحہ	سطر	خطأ	صواب	صفحہ	سطر	خطأ	صواب
٧٦	١٧	المالك	مالكا	٧٨	٨	الابراهيم	لابراهيم
؍؍	؍؍	محمد	احمد	٧٩	١٢	وجها	وجهها
٧٧	٩	سبحنه	سبحنه	؍؍	١٤	بخلع	بخلع
٧٨	١٣	نسخته	نسخة	٨٠	١٢	من احد	احد
٧٨	٨	الحماد	لحماد	؍؍	١٦	فاخذ	اخذ

النص القاطع فی هذا البحث

ذکر ابو العبّاس المبرّد فی کامله ما هو قول فصل فی هذا الباب
لا یدع مجالا للریب- ولا متسعًا للشک، قال

" وانما ذکرناهذا لتقدم قریش فی اکرام موالیها، ولّی رسول الله صلی الله علیہ وسلم
جیش موتة زیدًا مولاه... وامّر رسول الله اسامة بن زید فبلغه ان قوما قد طعنوا
فی امارته فقال لقد طعنتم فی امارة ابیه وقد کان لها اهلا وان اسامة لها لاهل و قالت
عائشة لو کان زید حیًّا ما استخلف رسول الله غیره وقال عبدالله بن عمر لابیه
لم فضلّت اسامة علیّ وانا وهو سیّان فقال کان ابوه احب الی رسول الله من ابیک
وکان احبّ الی رسول الله منک واوصی رسول الله بعض ازواجه لتمیط عن اسامة
اذی من مخاط او لعاب فکانها تکرهته فتولی منه ذلک رسول الله.... وکان
ادّی الی بنی قریظة مکاتبة سلمان فکان سلمان مولی رسول الله فقال علی بن
ابی طالب رض سلمان منا اهل البیت، ویروی ان المهدیّ نظر الیه وبید عمارة
ابن حمزة فی یده فقال له رجل من هذا یا امیر المومنین فقال اخی و ابن عمی
عمارة بن حمزة فلمّا ولّی الرجل ذکر ذلک المهدیُّ کالممازح لعمارة فقال له عمارة
انتظرت ان تقول "ومولای" فانفض والله یدک من بین یدی فتبسم امیر المؤمنین
المهدی ولم یکن الاکرام للموالی فی جفاة العرب زعم اللیثی انه کانت بین جعفر
بن سلیمان وبین مسمع بن کردین منازعة وبین یدی مسمع مولی له، له بهاء
ورواء ولسن فوجّه جعفر مولی له لینازعه، وجلس مسمع حافل فقال ان انصفنی
والله جعفر انصفته وان حضر حضرت معه وان عند عن الحق عندت عنه
وان وجّه الیّ مولی مثل هذا واوما الی مولی جعفر فقال مولی مثل هذا عاضًّا

لما يكره وتجهت اليه واومأ الى مولاه فعجب اهل المجلس من وضعه مولاه ذلك الذى فضل
تبها بمثله العرب وقيل الرجل لابيه والمولى لمواليه وفى بعض الاحاديث ان المعتق من
طينة المعتق ويروى ان سلمان اخذ من بين يدى رسول الله تمرة من تمرات الصدقة
فوضعها فى فيه فانتزعها رسول الله فقال يا اباعبد الله انما يحل لك من هذا ما يحل لنا
ويروى ان رجلا من موالى بنى مازن يقال له عبد الله بن سليمان وكان من جلة الرجال
نازع عمرو بن هداب المازنى وهو فى ذلك الوقت سيد بنى تميم قاطبة فظهر عليه المولى
حتى اذن له فى داره فادخل لفعلة دار عمرو فلما قلع من سطحه سافا كف عنه ثم
قال يا عمر قد اريتك القدرة وسأريك العفو وقد كان فى قريش من فيه جفوة
ونبوة كان نافع بن جبير احد بنى نوفل بن عبد مناف اذا مر عليه بالجنازة سال عنها
فان قيل قريش قال واقوماه وان قيل عربى قال وابلدتاه وان قيل مولى وعجمى قال
اللهم هم عبادك فاخذ منهم من شئت وتدع ويروى ان ناسكا من بنى الهجيم بن عمرو
بن تميم كان يقول فى قصصه اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالى عامة فاما العجم فهم
عبيدك والامر اليك وقال الاصمعى قال سمعت اعرابيا يقول لآخر اترى هذه العجم
تنكح نساءنا قال ارى ذلك والله بالاعمال الصالحة قال توطأ والله رقابنا قبل
ذلك" انتهى (صفحة ١٠، و١١، و١٢، طبع اوربا)

تدل هذه النصوص على امور،

١- ان اكرام الموالى كان من ديدن العرب عامة وقريشها خاصة-
٢- لم يكن الاكرام للموالى واكثرهم العجم عند جفاة العرب ونباتها كما لم يكن الاكرام للعرب عند الشعوبية واكثرهم العجم،
٣- كان نافع بن جبير وامثاله من جفاة العرب فلا يصح الاستدلال باقوالهم على
استحقار العرب للموالى والعجم كما لا يسوغ الاستدلال بأقوال علان وامثاله على ازدراء العجم للعرب،

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه اجمعين

ان الدهر دار العجايب، ومن احدى عجايبه ان رجلا من رجال العصر يؤلف فی تاريخ تمدن الاسلام كتابا يرتكب فيه من تحريف الكلم وتمويه الباطل وقلب الحكاية والخيانة فی النقل، وتعمد الكذب، ما يفوق الحد، ويتجاوز النهاية، وينتشر هذا الكتاب فی مصر وهی غرة البلاد وقبة الاسلام ومغرس العلوم ثم يزداد انتشاراً فی العرب والعجم ومع هذا كله لا يتفطن احد لدسايسه ان هذا الشئ عجاب!

لم يكن المرء ليجترئ على مثل هذه الفظيعة فی مبتدأ الامر ولكن تدرج الى ذلك شيئاً فشيئاً فانه اصدر الجزء الثانی من الكتاب وذكر فيه مثالب العرب دسيسة يتطلع بها على احساس الامة وعواطفها ولما لم يتنبه لذلك احد ولم ينبض لاحد عرق ووجد الجو صافيا ارخى العنان وتمادى فی الغی واسرف فی النكاية بالعرب عموماً وخلفاء بنی امية خصوصاً۔

وكان يمنعنی عن النهوض الى كشف دسايسه اشتغالی بامر ندوة العلماء

ولكن لما عمّ البلاءُ وتوسّع الخرقُ وتفاقم الشر لم اطق الصبر فاختلستُ مِنْ
مِنْ اوقاتي ايّامًا وتصدّيت للكشف عن عوار هذا التاليف والابانة عما فيه
من انواع الإفكِ والزورِ واصناف التحريف والتدليس،

معذرة الى المؤلف

اني ايها الفاضل المولف غير جاحد لمنّتك فانك قد نوّهت
باسمي في تاليفك هذا وجعلتني موضع الثقة منك واستشهدت باقوالي و
نصوصي ووصفتني بكوني من اشهر علماء الهند مع اني اقلهم بضاعة واقصرهم
باعًا واخملهم ذكرا ولكن مع كل ذلك هل كنت ارضى بان تمدحني وتهجو العرب
فتجعلهم غرضا لسهامك ودريّة لرمحك ترميهم بكل معيبة وشين وتعزو اليهم
كل دنيّة وشرّ حتى تقطعهم اربا اربا وتمزّقهم كل ممزّق وهل كنت ارضى بان تجعل
بني امية لكونهم عربا بحتا من اشر خلق الله واسوئهم يفتكون بالناس ويسومونهم
سوء العذاب ويهلكون الحرث والنسل يقتلون الذريّة وينهبون الاموال و
ينتهكون الحرمات ويهدمون الكعبة ويستخفّون بالقرآن،

وهل كنتُ ارضى بان تنسب حريق الخزانة الاسكندرية الى عمر
ابن الخطاب الذي قامت بعدله الارض والسماء وهل كنت ارضى بان تمدح
بني العباس فتعدّ من احدى مفاخرهم انهم نزّلوا العرب منزلة الكلب حتى ضُرب
بذلك المثل وان المنصور بنى القبة الخضراء ارغاما للكعبة وقطع الميرة عن الحرمين
استهانة بهما وان المامون كان ينكر نزول القرآن وان المعتصم بالله انشأ كعبة

فی سامرا وجعل حولها طوافا واتخذ منی وعرفاتٍ۔

وهب انی عدمت الغیرة علی الملة والدین وافتخرت کصنیع بعض الاجانب

بانی فلسفی بحت عادمٌ لکل عاطفةٍ ووجدان فلا ارضی ولا اغضب ولا اسرّ

ولا اغتاظ ولا افرح ولا اتالّم وهب انی حمّلتُ نفسی علی احتمال الضیم وقبول المکروه

والصمم عن البذاء ومجازاة السیّئة بالحسنة ومکافاة الخبیث بالطیب فهل کنت

ارضی بان تُشوه وجه التاریخ وتدمغ الحق وتروّج الکذب تفسد الروایة وتقلب

الحقیقة وتنفق التُّهم وتعوّد الناس بالخرافة۔ بئس ما زعمت ایها الفاضل فان

فی الناس بقایا وان الحق لا یعدم انصارا

اِنّ الغایة التی توخّاها المؤلف لیست الا تحقیر الامة العربیة وابداء مساویها

ولکن لمّا کان یخاف ثورة الفتنة، غیّر مجری القولِ ولَبّس الباطلَ بالحقِ بیانُ

ذلك انه جعل لعصر الاسلام ثلثة ادوارٍ دور الخلفاء الراشدین، ودور بنی امیّة

ودور بنی العباس، فمدح الدور الاول وکذلك الثالث (ظاهرا لا باطنا کما سیجئ)

ولمّا غرّ الناس بمدحه للخلفاء الراشدین وهم سادتنا وقادة الدینَ

وبمدحه لبنی العباس وهم ابناء عمّ النبیّ وبهم فخارنا فی بثّ التمدن وابهةِ

الملك، ورای انّ بنی امیّة لیس لهم وجهة دینیة فلا ناصرَ لهم ولا مدافع عنهم

تفرّغ لهم وحمل علیهم حملة شنعاء فما ترك سیئة الا وعزاها الیهم وما خلّی حسنة

الا وانتزعها منهم، ثم لو کان هذا لاجل انهم من آل مروانَ او لکونهم من سُلالة

اُمیّۃ لکُنّا فی غِنیً عن الذبِّ عنہم والحمایۃ لھم ولکن کُلّ ذنبھم انھم العرب علیٰ صرافتھم ما شابَتْھُم العجمیّۃُ مُطلقًا کما قال

" ویمتاز (ای دولۃ بنی امیۃ) عن الدولۃ العباسیۃ بانھا عربیۃ بحتۃ،، (الجزء الثانی من تمدن الاسلام)

"وجملۃ القول ان الدولۃ الامویۃ دولۃ عربیۃ اساسھا طلب السلطۃ والتغلب،، (الجزء الرابع صفحۃ ۱۰۳)

عصبیۃ العرب علی العجم

اطال المولف واطنب فی اثبات ھذہ الدعوی فذکر طرفا منہ فی الجزء الثانی مدسوسا (انظر صفحۃ ۱۰) ثم جعل لہ عنوانا خاصًّا فی الجزء الرابع (۵۸)

وھذہ نصوصہ،

"فان العرب کانوا یعاملونھم معاملۃ العبید"

" واذا صلوا خلفھم فی المسجد حسبوا ذلک تواضُعًا لِلّٰہ،

" وکانوا یُحرّمون الموالی من الکُنیٰ ولا یدعونھم الا بالاسماء والالقاب ولا یمشون فی الصف معھم"

" وکانوا یقولون لا یقطع الصلوٰۃ الا ثلثۃ حمارٌ او کلبٌ او مولیً"

"فکان العربی یَعُدُّ نفسہ سیدا علی غیر العربی ویری انہ خُلق للسیادۃ وذاک للخدمۃ"،

"فنوهم العرب فی نفسهم الفضل علی سائر الامم حتی فی ابدانهم وامزجتهم فکانوا یعتقدون انه لا تحمل فی سن الستین الا قرشیة. وان الفالج لا یصیب ابداً نهم"، "ومنعوا غیر العرب من المناصب الدینیة المهمة کالقضاء فقالوا لا یصلح للقضاء الا عربی وحرّموا منصب الخلافة علی ابن الامة ولو کان ابوه قرشیاً، ولا یزوّجون الاعجمی عربیة ولو کان امیراً وکانت هی من احقر القبایل"۔

"وکان الأُمویّون فی ایام معاویة یعدّون الموالی اتباعاً وارقّاء وتکاثروا فادرک معاویة الخطر من تکاثرهم علی دولة العرب فهمّ اَنْ یامُر بقتلهم کلّهم او بعضهم"۔

اعلم ان للمؤلف فی نفاق باطله اطواراً شتّی،

فمنها تعمّد للکذب کما ستری،

ومنها تعمیمه لواقعةٍ جزئیة،

ومنها الخیانة فی النقل، وتحریف الکلم عن مواضعها،

ومنها الاستشهاد بمصادر غیر موثقةٍ مثل کتب المحاضرات والفکاهات وهاک امثلةً من کل نوع منها قال، "اذا صلوا خلفهم فی المسجد حسبوا ذلک تواضعاً لله وکانوا یحرمون الموالی من الکنی الخ" "وکانوا یقولون لا یقطع الصلوٰة الا ثلثة" الخ۔

غیر خافٍ علی من له المام بتاریخ الفرس والعرب ان الفرس کانت قبل الاسلام تحتقر العرب وتزدری به ولما ارسل رسول الله صلی الله علیه وسلم کتابه الی کسری العجم شمأزّ وقال عبدی یکتب الیّ وکتب یزدجرد الی سعد ابن وقاص فاتح القادسیه ان العرب مع شرب البان الابل واکل الضبّ بلغ بهم الحال الی ان تمنّوا دولة العجم فأفٍّ لك ایها الدهر الدائر، و کانت ملوك حیرة تحت امرة ملوك العجم۔

ثم لما شرف الله العرب بالاسلام انتصفت العرب من العجم و استنکفوا من سیادتهم علیهم

وجاءت الشریعة الاسلامیة ماحیة لکل فخر ونخوة فقال رسول الله فی خطبته الاخیرة فی حجة الوداع، ان لا فضل للعربی علی العجمی ولا للعجمی علی العربی کلکم ابناء ادم"

وحینئذٍ ارتفع التمایز وتساوی الناس ولکن مع ذلك بقیت فی بعض الناس من کلا الطرفین حزازات کامنة فی صدورهم کانت سبب الحدوث حزبین متقابلین یسمّی احدهما الشعوبیّة وهی التی تحتقر العرب وترمیه بکل معیبة حتّی ان اباعبیدة صنّف کتباً عدیدةً یطعن فیها علی انساب کل قبیلة من قبایل العرب، والثانی المتعصّبون للعرب وقد عقد العلّامة ابن عبد ربّه فی کتابه العقد الفرید باباً فی حجج کلا الطرفین

واقوالهما ومعظم ما نقله المؤلف فی اثبات عصبیة العرب هی اقوال ذکرها صاحب العقد فی هذا الباب کما لوّح به المؤلف فی هامش الکتاب۔ واذا تصفحت الکتب یظهر لک ان الاقوال التی نسبها الی العرب عموماً انما هی اقوال شرذمةٍ خاصةٍ موسومة باصحاب العصبیة وصاحب العقد حیثما ذکر هذه الاقوال صدّرها بقوله "قال اصحاب العصبیة من العرب"، وانت تعلم ان هذه العصبة لیست کافّة العرب ولا اکثرها بل لا عشر معشارها فانک ستری انّ هؤلاء اُناس شرذمة مغمورون فی الناس، ثم ان المؤلف ما اقتنع بذلک بل رُبّما نسب قول رجل مُعیّن معلوم الاسم الی العرب عامة،

فقال ناقلا عن کتاب العقد "وکانوا یکرهون اَنْ یصلوا خلف الموالی وَاِذا صَلّوا خلفهم قالوا اِنّا نفعَلُ ذٰلِکَ تواضعاً لِلّٰه" فان صاحب العقد نسب هذا القول الی نافع بن جبیر فاخذه المؤلف وجعله قولا عاما للعرب وهذه الصنیعة اعنی تعمیم الواقعة الجزئیة هی کبر الحیل التی یرتکبها المؤلف لترویج باطله بل هی قطب رحی تالیفه،

قال المؤلِّف "فادرک مُعاویة الخطر من تکاثرهم علی دولة العرب فهمّ اَنْ یامر بقتلهم کلهم او بعضهم" (الجزء الرابع صفحة ۵۹) ان نص معاویة الذی نقله المؤلف بعد هذه العبارة هو هذا، "کانّی انظر الی

وثبة منهم على العرب والسلطان فرايتُ انْ اَقتل شطرًا وَاَدَعَ شطرًا" فانتَ
ترى ان الرواية على تقدير صحتها ليس فيها الا ان معاوية راى ان يقتل
شطرًا منهم ولكن المولف زاد على العبارة وقال ان معاوية همّ ان
يا مر بقتلهم كُلِّهم.

قال المؤلف فكانوا يعتقدون ان الفالج لا تصيب ابدانهم" (الجزء
الرابع صفحة ٦٠)

استشهد فى هذه الدعوى بطبقات الاطباء كما لوّح فى هامش الكتاب
وايم الله لو كُنتَ تَقِفُ على عبارة الطبقات لَوَقعتَ فى شئٍ حيرةٍ من اجتراء
المؤلّف على قلب الحكاية وتغير الرواية، ذكر صاحب الطبقات تحت ترجمة
عيسى الطبيب (الراجح انه نصرانى) انّ المهدى ضربه فالج فحضر المتطببون
وفيهم عيسى صاحب الترجمة فقال المهدى بن المنصور بن محمد بن على
بن عبد الله بن عباس يضربه فالج لا والله لا يضرب احدًا من هؤلاء
ولا نسلهم فالج ابدًا الا ان يبذر ابذورهم فى الروميات والصقلبيات
وما اشبههن"

قد نقل صاحب الطبقات بعد الحكاية المذكورة عن يوسف
الطبيب ان ابراهيم بن المهدى لما اعتلّ بعلة شبيهة بالفالج ودعا
يوسف وقال له ما العلة عندك فى عرض هذه العلة بى علمت انه كان حفظ

عن امه قول عيسى ابى قريش فى المهدى وولده انه لايعرض لعقبه الفالج الا ان يبذروا بزورهم فى الروميات وانه قد امّل ان يكون الذى به فالج لا عارض الموت" فقلتُ لا اعرف لانكارك هذه العلة معنًى اذا كانت اُمُّك التى قامت عنك دنباوندية ودنباوند اشدُّ بردًا من كل ارضِ الرُّوم فكانه تفرّج الى قولى وصدّقنى واظهر السرور"

فانت ترى ان الظن ببراءتهم عن الفالج انما كان مبناه حرَّ ارض العرب وليس له ادنى مساس بشرف النسل ولو كان كما يتبادر الى الذهن من علا اسماء اٰباء المهدى فهو يختص بعايلة النبى عليه السلام لا يفهم منه العموم مطلقا ولذلك لما ذكر لابراهيم (وهو ابن الخليفة مهدى) ان اُمّه من دنباوند وهو اشدُّ بردًا من ارض الروم، ذهب عنه استغرابه عروض الفالج له،

فانظر كيف كان مجرى الحكاية فغيّرها المؤلف وارتكب لذلك خيانات تترى

ثم ان هذا قول عيسى الطبيب ولا يدرى انه عرب ام لا وغالب الظن انه نصرانى وهب انه عرب فهو رجل من حاشية الدولة يريد التزلف الى الخليفة والتملق له فهل يكون قوله قول العرب كافّة

قال المؤلف "ومنعوا غير العرب من المناصب الدينية المُهمّة كالقضاء فقالوا لا يصلحُ للقضاء الا عربىٌّ" (الجزء الرابع صفحة ٦) واسنَدَ هذه الرواية الى ابن خلكان

حقیقة هذا القول انّ الحجّاج لمّا اسر سعید بن جبیر التابعی المشهور وکان من الموالی قال له ممتنّاً علیه اما جعلتُك اماماً للصلوة فی الکوفة ولم یکن فی الکوفة الا العربُ قال ابن جبیر نعم ثم قال له الحجّاج الیس انی لمّا اردت ان اُولّیك قضاء الکوفة ضجّت العرب وقالوا لا یصلح للقضاء الا عربی" وقد ذکر الروایة ابن خلکان بطولها ولا یخفی علیك ان کوفة لم یکن اذ ذاك فیها الا العرب وظاهرٌ ان القضاء لا یصلح له الا من کان عارفاً بعوائد الامة مطلعًا علی خصائصهم وکیفیة تعاملهم فیما بینهم وسعید بن جبیر لم یکن من العرب ولو کان استنکاف اهل کوفة من قضایه لاجل کونه من الموالی استنکفوا من امامته للصلوة فان الامامة اعظم شرفاً وارفع محلاً من القضاء وهذا ابو حنیفة کان من الموالی اً ارادوا ان یولّوه القضاء فی عصر بنی امیة فامتنع ولم یرض بذلك وقد ذکر الواقعة ابن خلکان مفصّلاً،

قال المؤلف "وحرّموا منصب الخلافة علی ابن الامة ولو کان قرشیاً"

نعم ولکن لم یکن هذا للاستهانة به قال الاصمعی کانت بنو امیة لا یبایع لبنی امهات الاولاد فکان الناس یرون ان ذلك للاستهانة بهم ولم یکن لذلك ولکن لما کانوا یرون ان زوال ملکهم علی ید ابن ام ولد[1]،" اما ما استدلّ به المؤلّف من قول هشام بن عبد الملك لزید بن علی

---

[1] انظر الجزء الثانی من العقد الفرید طبع مصر صفحة ٣٣٠.

انك ابن امة ولذلك لاتصلح للخلافة فقد رد عليه زيدٌ وقال ان اسماعيل كان ولد الجارية وكان سيد البشر محمد من سلالته ومن المعلوم ان زيدا وهو ابن الامام زين العابدين ارفع شانا واعظم محلا واطيب ارومة واصدق قولا من هشام ثم لو كان هذا الامر حقا ما كانوا يولّون الخلافة يزيد بن الوليد الاموى ومروان الحمار وهما ابنا امة،

ولما فرغنا عن ابداء شطرٍ من خيانات المؤلف ليكون كالعنوان على دابه فى تاليفاته حان لنا ان نُحقّق اصل المسئلة اى ان العجم والموالى هل كانوا آذِلّاء ساقطين مرذولين يعاملون معاملة العبيد فى عصر بنى امية كما يدعيه المؤلف او كانوا بمحل من الشرف والعزّة يعترف لهم العرب بالفضل والسّودد ويوفّى لهم او فى قسطٍ والمَلحق اعلم ان البلاد التى كانت عواصم الاقاليم وقواعدها فى عصر بنى امية هى مكة والمدينة والبصرة والكوفة واليمن ومصر والشام والجزيرة وخراسان وكان لكل هذه الاصقاع امامٌ يقودهم ويسود عليهم وهذه اسماءهم،

مكة المشرفة،	عطاء بن ابى رباح هو استاذ الامام ابى حنيفة
يمن	طاؤس،
الشام،	مكحول،

مصر،	يزيد بن ابى حبيب،
الجزيرة،	ميمون بن مهران،
خراسان،	ضحاك بن مزاحم،
البصرة	الامام الحسن البصرى،
الكوفة،	ابراهيم النخعى،

وكل هؤلاء غير ابراهيم النخعى كانوا الموالى وبعضهم ابناء الاماء ومع كونهم اعجاماً وكونهم اولاد الاماء كانوا سادة الناس وقادتهم تذعن لهم العرب وتحترمهم خلفاء بنى امية وولاة الامر،

فاما عطاء بن ابى رباح فمع كونه ابن سندية كان شيخ الحرم واليه المرجع فى الفتوى وعليه المعوّل فى المسايل، قال ابن خلكان فى ترجمته قال ابراهيم بن عمرو بن كيسان اذكرهم فى زمان بنى امية يامرون فى الحج صايحا يصيح "لا يفتى الناس الّا عطاء بن ابى رباح"، وهل يمكن ان ينادى بمثل ذلك من غير رضى الخلفاء واما طاؤس فلما قضى نحبه بمكة ازدحم الناس فى جنازته حتى تعذر الصلوة عليه وكان ابراهيم بن هشام اذ ذاك واليا على مكة فاستعان بالشرطة ومشى فى جنازته عبد الله ابن الامام حسن عليه السلام واضعا نعشه على عاتقه وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك الاموى ذكر كل هذا العلامة

ابن خلکان فی ترجمۃ طاؤس فهل یکون منزلۃ اعظم من ذلک،

واما مکحول الشامی فاحد الایمۃ المتبوعین وقال الزہری العلماء اربعۃ

فلان وفلان ومکحول واما یزید بن ابی حبیب فهو الذی ارسله عمر بن عبد العزیز

لیفقه الناس فی مصر ویفتیهم فی المسایل وهو المعلم الاول لهم کما صرح

بذلک السیوطی فی حسن المحاضرۃ واما میمون بن مهران فمع فضیلته

وسیادته کان امیرًا علی الخراج فی الجزیرۃ کما صرح به ابن قتیبۃ فی

المعارف اما حسن البصری فحدث عن البحر ولاحرج، یذعن له الملوک

والسادۃ والقواد وعلیه المعوّل والیه المنتهی،

ذکر السخاوی فی شرح الفیۃ الحدیث للعراقی (طبع لکهنؤ صفحہ ۴۹ و ۹۹)

انّ هشامًا قال للزهری من یسود اهل مکۃ قال عطاء قال بم سادهم قال

بالدیانۃ والروایۃ قال هشام نعم من کان ذا دیانۃ حقّت الریاسۃ له

ثم سأل عن یمن قال طاؤس وکذلک سأل عن مصر والجزیرۃ وخراسان

والبصرۃ والکوفۃ فاخذ الزُّهری یعد اسماء سادات هذه البلاد وکلّما

سمّی رجلا کان هشام یسأل هل هو عربیّ ام مولًی وکان یقول الزهری

مولًی الی ان اتی علی النخعی وقال انه عربی فقال هشام الآن فرجت عنی

والله لیسودنّ الموالی العرب ویخطب لهم علی المنابر والعرب تحتهم"

انّ التابعین لهم اعلی محل فی تاریخ الاسلام ۔ ورأسهم

سعید بن جبیر وهو اسود وقد ولاه حجاج بن یوسف امامة الصلوٰة فی الکوفة کما ذکره ابن خلکان فی ترجمته والکوفة اذ ذاک جمجمة العرب وقبة الاسلام وهل یصح بعد ذلک دعوی المؤلف ان العرب کانت تستنکف عن الصلوٰة خلف الموالی،

وهذا سلیمان الاعمش استاد الثوری کان عبدا عجمیا وکان بمنزلة من العز والشرف انه لما کتب الیه الخلیفة هشام بن عبد الملک ان یکتب له مناقب عثمان ومساوی علی اخذ کتاب هشام والقمه عنزا کان عنده وقال للرسول قل لهشام هذا جواب کتابک (ابن خلکان ترجمة الاعمش)

وهذا حماد الراویة الذی دوّن المعلقات وله المکانة الکبری فی الادب والشعر کان عبدا اسود وکانت ملوک بنی امیة تقدمه وتوثره وتستزیره کما ذکره ابن خلکان،

وهذا سالم بن عبد الله بن عمر کان ابن امة ولما دخل الخلیفة هشام بن عبد الملک المدینة ارسل الیه یدعوه فاعتذر فدخل علیه هشام ووصله بعشرة الاف ثم لما حج ورجع کان سالم اذ ذاک مریضا فذهب لعیادته ولما توفی صلی علیه وقال لا ادری بای الامرین انا اسر بحجتی ام بصلوتی علی سالم [1]

[1] عقد الفرید ترجمة هشام بن عبد الملک،

ولو اخذنا فی تعداد امثال هذه الوقایع لطال الکلام ومل الناظرون
ویظهر مما مرّ علیك ان الموالی کانوا فی ایام بنی امیة باعلی محل من
الشرف والمکانة وکانت العرب تذعن لهم وتقدمهم وتقتدی بهم
وترفع شأنهم، فهل صحیح قول المؤلف بعد ذلك ان الموالی وابناء الاماء کانوا
فی عصر بنی امیّة من ولین ساقطین یُزدری بهم ولا یقام لهم وزنٌ وکان
العرب وبنو امیة یعاملونهم معاملة العبید،

مثالب بنی امیة

المقصد الذی جعله المؤلف نصب عینه ومرمی غایته هو
ان الامة العربیّة اذا بقیت علی صرافتها فهی جامعة لجمیع اشتات الشر ای
الجور والقسوة والهمجیّة وسفك الدماء والفتك بالناس ولکن لما کان
لا یقدر علی اظهار هذا المقصد تصریحا احتال فی ذلك فمحض المذهب جعل
الکلام طیب الظاهر وذلك بأن قسم عصر الاسلام الی ثلثة ادوار فمدح
سیاسة الخلفاء الرشدین وقال بعد مدحها.

علی ان سیاسة الراشدین علی الاجمال لیست مما یلائم طبیعة العمران او
تقتضیه سیاسة الملك وانما هی خلافة دینیة توفقت الی رجال یندر
اجتماعهم فی عصر فاهل العلم بالعمران لایرون هذه السیاسة
تصلح لتدبیر الممالك فی غیر ذلك العصر العجیب وان انقلاب تلك الخلافة
الدینیة الی الملك السیاسی لم یکن منه بد (الجزء الرابع، صفحه ۳۰ و۲۹)

فاثبت بذلك ان سياسة الخلفاء الراشدين ليست فيها اسوة للناس وانها من مستثنيات الطبيعة، اما دور العباسيين فمدحه ولكن لالاجل انه دولة عربية بل لكونها فارسية مادة وقواماً موتلفاً ونظاما وصرح بذلك فقال"

دعونا هذا العصر فارسياً مع انه داخل فی عصر الدولة العباسية لان تلك على كونها عربية من حيث خلفاءها ولغتها وديانتها فهی فارسية من حيث سياستها وادارتها لان الفرس نصروها وايدوها ثم هم نظموا حكومتها وادار وشئونها ومنهم وزرائها وامراؤها وكتابها وحجابها،

(الجزء الرابع صفحه ١٠٦)

ثم اشار فی غير موضع ان الدولة العربية الساذجة انما هی دولة بنی امية فقال،

"وجملة القول ان الدولة الاموية دولة عربية" (الجزء الرابع صفحه ١٠٢)

"وظل العرب فی ايام بنی امية على بداوتهم وجفاوتهم وكان خلفاءها يرسلون اولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب اساليب البدو وادابهم (الجزء الرابع صفحه ٦١)

ولما اثبت ان خلافة الراشدين لم تكن يلايم النظام الطبعی وان دولة بنی العباس دولة فارسية وان الباقی على صرافتها هی الدولة الاموية

اخذ يعدد مثالب بنی امية تحت عنوانات مستقلة منها الاستخفاف بالدين واهله ومنها الاستهانة بالقرآن والحرمين ومنها الفتك والبطش ومنها قتل الاطفال ومنها خزانة الرؤس وانى فى مطاوى هذه العنوانات من الافك والاختلاق والتحريف والتبديل بما تجاوز الحد وخرج عن طور القياس والآن اذكر نبذاً منها واكشف عن جلية حالها،

الاستهانة بالقرآن والحرمين، قال المؤلف تحت هذا العنوان،

أما عبدُ الملك فكان يرى الشِّدة ويُجاهِر بطلب التغلب بالقوة والعنف ولو خالف الدين، ،لانه صرح باستهانة الدين منذ ولى الخلافة ، ، ذكروا انّه لما جاءه بخبر الخلافة كان قاعداً والمصحف فى حجره فأطبقه وقال هذا آخر العهد بك اوهذا فراقُ بينى وبينك فلاغرو بعد ذلك اذا اباح لعامله الحجاج ان يضرِبَ الكعبة بالمنجنيق وان يقتل ابن الزبير ويحتزّ راسه بيده داخل مسجد الكعبة ، ، وظلوا يقتلون الناس فيها ثلاثا وهدموا الكعبة وهى بيت الله عندهم واوقدوا النيران بين احجارها واستارها (الجزء الرابع صفحة ٩٧،٩٠)

الحكاية على الاجمال ان ابن الزبير ادّعى الخلافة فملك الحرمين والعراق وكاد يغلب على الشام وكان امره كل يوم فى ازدياد وبازائه بنوامية فى الشام فلمّا تولّى عبدالملك الخلافة ارسل الحجاج الى ابن الزبير فحاصره ولاذ ابن الزبير

بمكة فنصب الحجاج المنجنيق على الزيادة التى كان زادها ابن الزبير كما يجى تفصيله
يعرف كل من له ادنى المام بالتاريخ ان الحجاج ما اراد الا قتال ابن الزبير
ولكونه لائذا بالكعبة اضطر الى نصب المنجنيق على الكعبة ولكن مع ذلك تحرز
عن رمى الكعبة فحول وجهها الى زيادة ابن الزبير فانظر كيف غير المؤلف مجرى
الحكاية فصدر الباب بالاستهانة بالقرآن والحرمين ثم ذكر ان عبد الملك قال
للقرآن هذا فراق بينى وبينك وانه اباح للحجاج ضرب الكعبة بالمنجنيق وهدم
الكعبة وايقاد النيران بين استارها فالناظر فى عبارته يتوهم بل يستيقن ان
عبد الملك تفرغ من بدء الامر للاستهانة بالدين والقرآن والحرمين وجعل
الاستهانة نصب عينه ومرمى غايته وقتل ابن الزبير كان اما لانه دافع عن مكة او
لكونه ايضا من جنس الاستهانة بالحرم اما تفصيل الواقعة وتعيين بادى الظلم
فهو ان ابن الزبير لما استولى على الحرمين اخرج بنى امية من المدينة فخرج مروان
وابنه عبد الملك وهو عليل مجدر فاستولى على الشام وصدرت من ابن الزبير
افعال نقموا عليه لاجلها فمنها انه تحامل على بنى هاشم واظهر لهم العداوة[له] والبغضاء
حتى انه ترك الصلوة على النبى فى الخطبة ولما سألوه عن هذا قال ان للنبى اهل
سوء يرفعون رؤسهم اذا سمعوا به[٢] ومنها انه هدم الكعبة ومع ان هدمها لم يكن
الا لرمتها واصلاحها ولكن لم يكن هذا مالوفا للناس ولذلك تحرز النبى عليه السلام

[له] اليعقوبى طبع اوربا صفحة ۳۱۱ من الجزء الثانى [٢] الجزء الثانى من اليعقوبى صفحه ۳۱۱ -

عن ادخال الحطیم فی الکعبۃ فاتخذ الحجاج ہذہ الامور وسیلۃ لِاغراء الناس علی
ابن الزبیر ولعل ابن الزبیر کان مضطرا الی ہذہ الاعمال ولکن من شریطۃ العدل
ان نوفی کُلَّ احد قسطہ من الحق فاذا اعتذرنا لابن الزبیر فعبد الملک احق منہ
اعتذارا فان ابن الزبیر ہو البادیٔ والبادیٔ اظلم ویظہر من ہذا ان عبد الملک
ما اراد الحط من شان الکعبۃ ومَسَّ شرفہا ولکن اضطر الی قتال ابن الزبیر فوقع
ما وقع عرضا غیر مقصود بالذات ولذلک لما نصب الحجاج المناجیق علی الکعبۃ
حوَّلہا عن الکعبۃ وجعل الغرض الزیادۃ التی کان زادہا ابن الزبیر صرح بذلک
العلامۃ البشاری فی حسن التقاسیم ثم ان من مسایل الفقہ ان البغاۃ اذا تحصنوا
بالکعبۃ لا یمنع ہذا عن قتالہم ولذلک امر النبی فی فتح الفتح بقتل احدہم وہو
متعلق باستار الکعبۃ وابن الزبیر کان عند اہل الشام من البُغاۃ والمارقین عن الدین
ولو کان اراد الحجاج الاستہانۃ بالحرم لما کان مرادہ من رمّتہ و اصلاحہ
بعد قتل ابن الزبیر ومعلوم ان تعمیر الحجاج ہو الیوم کعبۃ الاسلام وقبلۃ المسلمین کافۃ
اما قول عبد الملک للقران ہذا فراق بینی وبینک، فحقیقتہ ان
عبد الملک کان قبل الخلافۃ ناسکا منقطعا الی العبادۃ لا یشتغل بشیٔ من الدنیا
قال نافع ما رایت فی المدینۃ اشدَّ نُسکا وعبادۃً من عبد الملک ولما سألوا ابن
عمر الی من نرجعُ فی الفتوی بعدک قال ولدُ لمروان وکان یقول ابن الزناد الفقہاء
فی المدینۃ سبع احدہم عبد الملک وقال الامام الشعبی ما جالست احدا الا وجدتُ

علیه الفضل لا عبد الملک بن مروان، ذکر کل هذه الاقوال العلامة السیوطی فی تاریخه للخلفاء فلما جاءته الخلافة وهو یقرء القرآن تصوّر خطارة الامر وان مثل هذا العبأ لایمکن تحمله الا المنقطع الیه فقال تحسّراً هذا آخر العهد بک ای الآن لایمکن الانقطاع الی العبادة وقراءة القرآن کما کان دابی اولا ولیس هذا علی سبیل الاستهانة بالدّین مطلقا فانّا نری اشتغال عبد الملک بالفرائض والسُّنن فیما بعد فهو یصوم ویصلی ویحج قال الیعقوبی فی تاریخه واقام الحج للناس فی ولایته سنة ٧٢ الحجاج بن یوسف وسنة ٧٣ وسنة ٧٤ الحجاج ایضا وسنة ٧٥ عبد الملک بن مروان وسنة ٧٦ ابان بن عثمان بن عفان، وسنة ٧٧ ابّان ایضا وسنة ٧٨ وسنة ٧٩ وسنة ابان ایضا وسنة سلیمان بن عبد الملک (وسرح باقی السنوات فترکناها) وعبد الملک هو الذی کسا الکعبة الدّیباج فهل هذا صنیع من یرید الاستهانة بالحرم،

قال المولف،

"ویحتزُّ راسه بیده داخل مسجد الکعبة" (الجزء الرابع صفحة ٩٧)

استند المؤلف فی هذه الروایة بالعقد الفرید لابن عبد ربه والاستناد بمثل هذه الکتب فی مثل هذه الوقایع هو من احدی حیل المولف المعتادة فانت تعلم ان حادثة قتل ابن الزبیر مذکورة فی الطبری وابن الاثیر وغیرها من المصادر التاریخیة المتداولة الموثوقة بها وعلیها المعوّل والیها المرجع لکن لما لم یکن کیفیة الحادثة فی هذه الکتب وفق هوی المؤلف اعرض عن هذه کلها

وتشبّث بكتاب هو فى عداد المحاضرات انما يُرجع الى امثاله اذا لم يكن فى الباب مستند غيره ومتى ما لم يُخالف الاصول، والمذكور فى الطبرى وغيره ان عبدالله بن الزبير اُصيب فى الحجون وقُتل هناك قتله رجل من المراد وما احتُزّ راسه داخل الكعبة،

قال المؤلف "وهدموا الكعبة"،

قدّ منا ان الكعبة لم تكن غرضاً للحجاج وانما كان نصبها لمناجيق على الزيادة التى زادها ابن الزبير ولما كانت مُتّصِلَةً بالكعبة نال الاحجار من الكعبة ولكن بعد ما استتبّ القتال اوّلُ ما فعلهُ الحجاجُ كان امره بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم كما نص عليه ابن الاثير فهل كنسُ المسجد الحرام من الحجارة والدم وهدمُ الكعبة شئٌ واحدٌ،

اما ما نقل المؤلف عن كفر الوليد وانه امر بالمصحف فعلقوه واخذ القوس والنبل وجعل يرميه حتى مزّقه وانشد،

اَتُوعِدُ كُلّ جبارٍ عنيدٍ	فها انا ذاك جبارٌ عنيدُ
اذا لاقيتَ ربكَ يوم حشرٍ	فقل لله مزّقنى الوليدُ

ونقل هذه الرواية عن الاغانى فهى من خرافات الاغانى ومعلومٌ انّ صاحب الاغانى شيعىٌّ، ديانته شنان بنى اُمية والحط منهم اما الابيات فاثر التوليد ظاهرٌ عليها ومن له ادنى مسكة بالادب يشهد ان نسجها غير نسج الاوائل، فامّا جهابذة المحدثين المرجوع اليهم فى نقد الروايات والذين

قولهم فصل فی هذا الباب فیجد من امثال هذه الروایات المختلفة قال العلامة الذهبی وهو راس الحدیث ومرجع الروایة "لم یصح عن الولید کفرٌ ولا زندقةٌ بل اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا علیه لذلك" (تاریخ الخلفاء للسیوطی ترجمة الولید)

ثم ان هنالك امرًا اٰخر وهو ان النَّاقم علی الولید وقاتله هو خلیفةٌ امويٌّ، فکیف ینسب ستهانة الدین الی خلفاء بنی امیة عامتهم ثم ان هذا الذی عزا الیه صاحب الاغانی الاستهانة بالقراٰن قد ذکر له صاحب العقد ما ینبئ عن تعظیمه للقراٰن وتفخیمه شانه وحث الناس علی حفظه وتعهده قال صاحب العقد[١] انه شکا رجل من بنی مخزوم دینًا لزمه فقال (الولید) اقضیه عنك ان کنت لذلك مستحقًّا قال یا امیر المومنین کیف لا اکون مستحقًا فی منزلتی وقرابتی قال قرأت القراٰن قال لا قال فادن منی فدنا منه فنزع العمامة عن راسه بقضیب فی یده فقرعه قرعة وقال لرجلٍ من جلسایه ضم الیك هذا العلج ولا تفارقهُ حتی یقرء القراٰن فقام الیه اٰخر فقال یا امیر المومنین اقض دینی فقال له اتقرء القراٰن قال نعم فاستقراه عشرًا من الانفال و عشرًا من براءة فقرء فقال نعم نقضی دینك وانت اهلٌ لذلك" فانت تری ان الولیدُ یعدُّ من لا یقرء القراٰن علجًا والمولف یعدّ الولید علجًا،

فاما ما ذکره المولف من اقوال الحجاج وخالد القسری فی انهما کانا

[١] الجزء الثانی صفحة ٢٥٨

يفضّل ان الخلافة على النبوة فمع ان اكثر هذه الاقوال مأخوذ من العقد الفريد وهو من كتب المحاضرات لسنا نحتاج الى الذبّ عن الحجاج وخالد فانهما من اشرار الامة حقًّا ولكن كم لنا من امثال هؤلاء الملاحدة في الدولة العباسيّة كالمجاردة وابن الراوندى الذى عمل كتابا ردّ فيه على القرآن وسماه بالدامغ فاذا كان العباسية غير مسئولين عن اوزار هؤلاء عند المؤلف فكذلك بنو اميّة وان كان عبد الملك والوليد يرتضيان بسوء اعمال الحجاج فمعلوم ان غيرهما من بني امية كانوا ناقمين عليه كافّة حتى ان هشاما قال "هل الحجاج استقرّ في جهنم او يهوى الى الآن" ولما وصل هشام ان خالد القسري استخفّ بامرأة مومنة عزله عن الامارة وسجنه كما ذكره ابن خلكان،

والحاصل ان المؤلف ان خص رجلًا او رجلين من بني امية بالمطاعن لاعترفنا به ولكن من سوء مكيدة المولف انه يجعل الفرد جماعة والفذّ نوعًا والنادر عامًا، والشاذّ مطردًا۔

جور بني امية سمعنا بمظالم بخت نصر واحطنا علمًا بشنايع چنگيز خان واطّلعنا على ما جنته ايدى التتر فوالله (لو صدق المولف) هم كانوا اشد قسوة ولا افظع اعمالا ولا اسفك دماءً ولا اجمع لانواع الفتك من بني امية،

قال المولف حتى في ايام معاوية فانه ارسل بسر بن ارطاة × ×

وارسل معه جيشا ويقال انه (اى معاوية) اوصاهم ان يسيروا

فی الارض ویقتلوا کل من وجدوه من شیعة علیٍّ ولا یکفوا ایدیهم عن النساء والصبیان (الجزء الرابع صفحة ٨٢)

قبل ان اکشف عن جلیة الامر لابدّ من تقدیم مقدمة، وهی ان المؤلف مدح بنی العباس وجعل اعمالهم مناط العدل ودلالة علی الرفق فقال،

ولا غرابة فیما تقدم من عمران البلاد فی ظل الدولة العباسیة فان العدالة توطد دعائم الامن واذا امن الناس علی رواحهم وحقوقهم تفرغوا للعمل فتعمر البلاد ویرفه اهلها ویکثر خراجها (الجزء الثانی صفحة ٨١)

وعلی هذا فاذا وجدنا بنی امیّة معادلین لبنی العباس فی جمیع اعمالهم سواءً بسواءٍ کان اختصاصهم بالذم دون بنی العباس جورًا فاحشا ومیلا عظیما، ثم ان هناک امر اخروهو ان المورخین باسرهم کانوا فی عصر بنی العباس ومن المعلوم انّه لم یکن یستطیع احد ان یذکر محاسن بنی امیة فی دولة العباسیّین فاذا صدر من احدٍ شیءٌ من ذلک فلتة کان یقاسی قائلها انواعا من الهتک والایذاء ووخامة العاقبة وکم لنا من امثال هذه فی اسفار التاریخ، ومع اننا نفخر بان مورخی الاسلام کانوا اصدق الناس روایة واجرءهم علی اظهار الحق ما کان یمنعهم عن بیان الحقیقة سلطة ملکٍ ولا مهابة جائرٍ ولکن مع ذلک فرق بین تعمد الکذب والسکوت عن الحق ولذلک نعتقد انهم ما قالوا شیئًا افتراءً علی بنی امیة ولکن ان قلنا انهم کثیرا ما سکتوا عن محاسنهم فذلک شیءٌ لا یدفع ولیس فیه غضٌّ منهم.

اما بنو العباس فکانوا فی عصرهم ولاة البلاد وملاک رقاب الناس رضاهم الحیوة وسخطهم الموت، فالوقیعة فیهم والاخذ علیهم ما کان یمکن الا بعد مخاطرة النفس والاقتحام فی الهلاک ونصب النفس للموت،

رجعنا الی قول المولف ان معاویة امر بقتل النساء والصبیان، اعلم ان هذه الواقعة ای رسال بسر ابن ارطاة الی شیعة علیّ من اشهر الوقایع المذکورة فی سایر کتب التواریخ ولیس فی احد منها قتل النساء والصبیان بل فیها ما یخالف هذه الروایة قال المورخ الیعقوبی "ووجّه معاویة بسر بن ارطاة وقیل بن ارطاة العامری من بنی عامر بن لوی فی ثلثة الاف رجل فقال له سِرْ حتّی تمرّ بالمدینة فاطْرِدْ اهلها واَخِفْ مَنْ مَرَرْتَ بها وانهب مال من اصبت له مالا ممن لم یکن دخل فی طاعتنا واَوْهِمْ اهل المدینة انّک ترید انفسهم وانه لا براءة لهم عندک
× × حتی تدخل مکة ولا تعرض فیهما لاحد وارهب الناس فیما بین مکة والمدینة
× × ثم امض حتی تاتی صنعاء فانّ لنا بها شیعة وقد جاءنی کتابهم فخرج بسر فجعل لا یمرّ بحیّ من احیاء العرب الا فعل ما امره معاویة (الیعقوبی طبع اوربا صفحة ۲۳۱ من الجزء الثانی)

فتری فی هذه العبارة انه لم یکن هناک الا تخویف وتهدید وایهام لما رای المؤلف ان المصادر التاریخیة الموثوقة بها لا توجد فیها ما یوافق هواه جنح الی الاغانی ونقل امر معاویة بقتل النساء والصبیان ثم اعتذر عن معاویة بان المظنون ان

خلاف ذلك لحلمه ودهائه والظن ان معاوية اطلق يد لبسر ولم يعيّن لحدّهٖ حدًّا وكان بسر سفّاكًا للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخا"

قد قلنا انّ الاغانى من كتب المحاضرات فاذا كان الامر هيّنا وكان الحديث فُكاهةً او تسلّلا من كدّ العمل الى استراحةٍ فلا باس به وبامثاله اما اذا كان الامر ذا بال وكان الواقعة مُعتركَ الاختلاف ومتعفر الاهواء رافع الشأنٍ اوهادمًا لِاَساسٍ فامثال هذه الكتب لا يوذن لها ولا يُلتفت اليها مطلقا،

ثم انّ الرجل (اى صاحب الاغانى) شيعيٌّ اذا جاءه شئٌ مما يشين معاوية ويُدنّسه وجد من نفسه ارتياحًا الى قبوله ولو كان من اوهن الاحاديث واكذبها،

نعم ان بسر بن ارطاة قتل طفلين ولكن القتل لم يتجاوز الاثنين فاين هذا من قول المولف،

"وكان بسر سفاكا للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخا"

قال المولف" فاذا كان هذا حال العمال فى ايام معاوية مع حلمه وطول اناته فكيف فى ايام عبد الملك مع شدّته وفتكه فهل يستغرب ما يقال عن فتك الحجاج وكثرة من قتلهم صبرًا ولو كانوا ١٢٠٠٠٠

(الجزء الرابع صفحة ٨٣)

نعم قتل الحجاج مائة الف او مائتين ولكن اين هذا من صنيعة ابى مسلم

الخراسانی القایم بدعوة بنی العباس الموسس لدولتهم فانه قتل صبرا بدون حرب مایبلغ عدده ستمایة الف وقد اعترف به المولف فی هذا التالیف نفسه (الجزء الرابع صفحة ١١٢) والمولف یحتال لذلك عذرا ویحسبه من طبیعة السیاسة فالحجاج احق بالعذر واجدر بالعفو فان الحجاج عربی قح طبعه الجفاء والقسوة اما ابو مسلم فعجمی تربی فی حجر التمدن وغذی بلبان الظرف ودماثة الاخلاق،

اما قوله "عبد الملك كان اشد وطاةً منه" (ای من الحجاج) فلم یات علیه بشاهد غیر غدره بعمرو بن سعید واین هذا من غدر المنصور العباسی بابی مسلم الذی هو رب الدولة العباسیة ولولاه لما قامت للعباسیین قایمة ولا كان لهم ذكر وكذلك غدر المنصور بابن هبیرة،

وغایة مایقضی منه العجب ان المولف بعد ماذكر فتك بنی امیة بقوله "وقد نفعتهم هذه السیاسة (ای سیاسة الفتك) فی تاثید سلطانهم ثم قال صارت سنةً فی من ملك بعدهم من بنی العباس وغیرهم" وانت تعلم ان المولف یبرئ ساحة العباسیة من الجور والظلم فضلًا عن الفتك فهل هذا تناقض فی القول او اراد بهم نفعا فضرّهم من حیث لایعلم-لا والله لا هذا ولا ذاك بل هی من مكاید المولف التی لایهتدی الیه الا فطنٌ خبیر بطویة الرجل وكامن ضغنه،

جور العمال | ذكر المولف تحت هذا العنوان انواعًا من الجور والشدة الصادرة من عمال بنی امیة ونحن نذكر بعضا منها مع كشف الحقیقة،

قال يذكر جور العمال "واذا اتى احدهم بالدراهم ليوديها فى خراجه يقتطع الجابى، منها طائفةً ويقول هذا رواجها وصرفها" (الجزء الثانى صفحة ۲۲ واستند فى الهامش بكتاب الخراج لابى يوسف صفحة ٦٢)

ايها الفاضل المولف! اليس لك وازع من نفسك، اليس لك رادع من ديانتك۔ اتجترئ على مثل هذا الكذب الظاهر والمين الفاحش جهرة فان القاضى ابا يوسف ما تكلم فى شان عمال بنى امية ببنت شفة وانما ذكر عن عمال هرون الرشيد واساءتهم العمل فى جباية الخراج وكتاب الخراج لابى يوسف بين ايدينا وقد طبع فى مصر وتداولته الايدى وتناقلته الالسن،

قال المولف،

"وفى كلام القاضى ابى يوسف فى عرض وصيته للرشيد بشان عمال الخراج ما يبيّن الطرق التى كان اولئك الصغار يجمعون الاموال بها قال "بلغنى انه قد يكون فى حاشية العامل والوالى جماعة منهم له به حرمةٌ ومنهم من له اليه وسيلة ليسوا بابرارٍ ولا صالحين يستعين بهم ويوجّههم فى عماله يقتضى بذلك الذمامات فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه ولا ينفقون من يعاملونه انما مذهبهم اخذ شئ من الخراج كان او من اموال الرعية ويقيمون اهل الخراج فى الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلّقون عليهم الجرار ويقيدونهم بما يمنعهم من الصّلوة وهذا عظيمٌ

عند الله شنيع فى الاسلام (الجزء الثانى صفحة ٢٣ و ٢٤ مستندًا الى كتاب الخراج صفحه ٦١ و ٦٢)

الله اكبر! اهل سمع احدٌ باعظم من هذا التدليس والتلبيس يشتكى القاضى ابو يوسف من عمّال هرون الرشيد ويرفع القضية اليه ويبين ما بلغه مما يرتكب عماله فى اخذ الاموال من الرعايا، فياخذ المولف اقواله وينقلها من حيث انها هى الطرق التى كان عمال بنى امية يجمعون الاموال بها، ها هو كتاب الخراج بايدينا قرءناه وقلبناه ظهرًا عن بطنٍ وكررنا فيه النظر لا كرّة اوكرّتين بل مرّات متوالية متتابعةٍ فما وجدنا فيه كلمة فى شان عمال بنى امية وانما قال ما قال ابو يوسف يعظ الرشيد بما بلغه عن عماله الى ان خاطبه بقوله،

فلو تقرّبت الى الله عزوجل يا امير المومنين ابا لجلوس لمظالم رعيّتك فى الشهر او الشهرين مجلسًا واحدًا تسمع فيه من المظلوم وتنكر على الظالم رجوتُ ان لا تكون ممن احتجب عن حوائج رعيته ولعلك لا تجلس الا مجلسًا او مجلسين حتى يسير ذلك فى الامصار والمُدن فيخاف الظالم وقوفك على ظلمه فلا يجترئ على الظلم ‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌ ‌‌‌‌ «‌‌‌‌‌‌‌‌» مع انه متى علم العمال والولاة انك تجلس للنظر فى امور الناس يومًا فى السنة ليس يومًا فى الشهر تناهوا باذن الله عن الظلم وانصفوا من انفسهم (كتاب الخراج صفحة ٦٣ و ٦٤)

لا فُضَّ فوك يا ابا يوسف! فقدّ صدعت بالحق وامرت بالمعروف واجترءت على النهي عن المنكر واخذت على ملكٍ جبارٍ كهرون الرشيد صاحب النكبة بالبرامكة وما اكبر جرأتك ايها الفاضل (جرجي زيدان) تتبعت سيرة عمال بني اميّة وبالغت في الامعان وكابدت في ذلك محنة التّقصي فأعوزك كل هذا وما وجدت في عمالهم شيئاً من مثل تلك الفظايع فعمدت الى سيرة عمال الرشيد واوهمت الناظرين انها سيرة عمال بني امية،

قال المولف وكان العمال لا يرون حرجا في ابتزاز الاموال من اهل البلاد التي فتحوها عنوة لاعتقادهم انها فيءٌ لهم كما تقدم (الجزء الرابع صفحة ٥)

الذي اشار اليه بقوله "تقدم" هو قوله في الجزء الثاني وهذا نصّه

"وكان من جملة نتايج تعصب بني امية للعرب واحتقارهم ساير الامم انهم اعتبروا اهل البلاد التي فتحوها وما يملكون رزقا حلالا لهم يدل على ذلك قول سعيد بن العاص عامل العراق ما السواد الا بستان قريش ما شئنا اخذناه منه وما شئنا تركناه وقول عمرو بن العاص لصاحب اخنا لما ساله عن مقدار ما عليهم من الجزية فقال عمرو انما انتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم (الجزء الثاني صفحة ١٩)

تشبّث المؤلف بهذه الاقوال في غير موضع مستدلّاً على ان العرب وبني امية كانوا يتصرفون على اموال الناس كيفما شاؤا ظنا منهم ان اموالهم

واعراضہم اُبیحت لھم مطلقا۔

حقیقۃ القول انہ لما فتحت البلاد فی خلافۃ **الفاروق** تقدّم بعض الصحابۃ کعبد الرحمن بن عوف وبلال وغیرھما وقالوا ان الارض مقسومہ بیننا کما قسم رسول اللہ خیبر وکان الفاروق رأی غیر ھذا فقام النزاع حتی وُفِّقَ الی الاستناد بنصّ القرآن فسکتوا ورضوا والقصّۃ مذکورۃ بتفاصیلھا فی کتاب الخراج للقاضی ابی یوسف ثم ان بعض البلاد فُتحت صلحًا فمتی کان الخراج او الجزیۃ شیئًا مُسمًّی مُعیّنًا ما کانوا یرون الزیادۃ علیہ وان کثرت الارض خیراتھا وزادت غلاتھا وفتح بعضھا عنوۃ فکان الخراج او الجزیۃ علیھا بقدر النقص والزیادۃ وھذا ھو قول عمرو "ان کثر علینا کثرنا علیکم وان خفف عنا خففنا عنکم" وقد اشار الی ذلک المقریزی فی تاریخہ والعلامۃ السیوطی فی حسن المحاضرۃ فاما قول سعید بن العاص الذی استند بہ المولّف فتحریف الکلام عن موضعہ علی جاری عادتہ فان المولف نقل ھذہ الروایۃ من الاغانی والمذکور فیہ ما حاصلہ "ان احدًا مدح السواد عند سعید بن العاص وبالغ فیہ فقال بعضہم نعم ویالیتہ کان لامیرنا فقال بعض من حضر لا نعطی ارضنا للامیر فقال الرجل ولو شاء الامیر لاخذہ فانکروا قولہ فقال سعید بن العاص "السواد بستان قریش الخ" فقال الرجل لا انہ من منایح رماحنا" فانت تری ان النزاع بین الجند وامیر البلد ھنا ھو النزاع الذی کان بین بعض الصحابۃ وعمر الفاروق وایُّ متشبث فی ذلک للمؤلف

فان سعید بن العاص قال ما قال رَدًّا علی الجند بدعوی ان الارض لا تقسم
بین فاتحی البلاد بل هی تحت ید الخلیفة او من ینوب عنه وانما ذکر سعید
قریشا لان الخلافة علی زعمهم للقریش خاصة،

قال المولف،

فکان الخلفاء یکتبون الی عمالهم بجمع الاموال وحشدها والعمّال
لا یبالون کیف یجمعونها فقد کتب معاویة الی زیاد" اصطف لی
الصفراء والبیضاء فکتب زیاد الی عماله بذلک واوصاهم ان یوافوه
بالمال ولا یقسموا بین المسلمین ذهبا ولا فضةً" (الجز الرابع صفحته ۶
واحال الروایة فی الهامش علی العقد الفرید صفحة ۱۰ من الجلد الاول)
ننقل ماخذ هذه الروایة کما صرّح به المولف فی الهامش لتری خیانات
المولف واحدة بعد واحدة، قال صاحب العقد،

"ونظیر هذا القول ما رواه الاعمش عن الشعبی ان زیادا کتب
الی الحکم بن عمر الغفاری وکان علی الطایفة ان امیر المومنین
کتب الیّ ان اصطفی له الصفراء والبیضاء فلا تقسم بین الناس
ذهبا ولا فضةّ فکتب الیه انی وجدت کتاب الله قبل کتاب امیر المومنین
ثم نادی فی الناس فقسم لهم ما اجتمع من الفیء" (العقد الفرید
المجلد الاول صفحة ۱۰)

فانظر اوّلاً، انّه ليس فى هذه الرواية انّ معاوية كتب الى زياد بل ان زياد كتب الى الحكم انّ امير المومنين كتب الىّ"، ولعل زياد كذب فى ذلك او فهم غير ما اراد معاوية بقوله،

ثانياً، انّ المولّف حذف كل ما قال الشعبى وما عمل به من تقسيم الفئ، لدلالته على ان فى عمّال بنى امية من لا يمنعه عن الصلح بالحق واداء الواجب احدٌ - لا ولاة الامصار ولا من فوقهم اعنى الخليفة نفسه،

ثالثاً، انّه ليس فى هذه العبارة ما يستدل به على استئثار معاوية المال لنفسه فان مراده ان العمّال ليس لهم تقسيم الفئ، بل الامر موكول الى الخليفة فعلى العامل ان يجمع الاموال ويرسلها الى الخليفة وللخليفة ان يضعها موضعها،

قال المولف،

"فكان العمال يبذلون الجهد فى جمع الاموال باية وسيلة كانت و مصادرها الجزية والخراج والزكاة والصدقة والعشور واهمها فى اوّل الاسلام الجزية لكثرة اهل الذمّة فكان عمال بنى امية يشدّدون فى تحصيلها فاخذ اهل الذمة يدخلون فى الاسلام فلم يكن ذلك لينجيهم منها لان العمال عدّوا اسلامهم الفرار من الجزية وليس رغبة فى الاسلام فطالبوهم بالجزية بعد اسلامهم واوّل من فعل ذلك الحجاج بن يوسف واقتدى به غيره من عمال بنى امية فى افريقية وخراسان وما وراء النهر فارتد الناس عن الاسلام

وهم يودّون البقاء فيه وخصوصاً اهل خراسان وماوراء النهر فانهم ظلّوا
الى اواخر بنى امية لايمنعهم عن الاسلام الاظلم العمال بطلب الجزية منهم
بعد اسلامهم" (الجزء الرابع صفحة ٧٦)

ذكر المولّف هذه الواقعة اى اخذ الجزية بعد الاسلام فى غير موضع بعبارات متنوعة قوية الاخذ بالنفس شديدة الوطاة على القلب يترائى للناظر فيها انّ الناس حيطوا من كل جانب جوراً وعدواناً فاذا ابقوا على الكفر يعانون من الشدة ما يلجيهم الى الاسلام واذا اسلموا فالجزية باقية على حالها لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون،

اعلم ان الجزية ليست الا بدلاً عسكرياً فمن يذبّ عن بيضة الملك بنفسه فهو غير ماخوذ بها امّا من ضنّ بالنفس ولا يصلح لذلك فعليه ان يودى شيئاً من المال ليكون عدّة للعسكر وعوناً له واوّل من سنّ الجزية وجعل لها وضايع كسرى نوشروان كما ذكره ابن الاثير وصرح بانها هى الوضايع التى اقتدى بها عمر بن الخطاب، وكم تجد فى البلاذرى والطبرى وغيرها انّ اقواماً من النصارى فى عصر عمر بن الخطاب لما قاموا بالدفاع عن الملك او دخلوا فى الجند سقطت عنهم الجزية واعفى عمر بن الخطاب نصارى تغلب عن الجزية واضعف عليها الصدقة وجملة القول ان الجزية لم يكن فى الاصل شئ يحدّ بين الكفر والاسلام ولكن لما كان غالب الحال ان اهل البلاد من النصارى والمجوس واليهود

كانوا اصحاب حرث وزرع وعمّالٍ فى الديوان وكانوا لا يرضون بمخاطرة النّفس واقتحام الحروب ولذلك كانوا مطالبين بالجزية والمسلم لا يمكن له الاعتزال عن الحرب فانه مضطر الى الذب عن بلاد الاسلام طايعا او مكرهًا، صارت الجزية كانها حدٌّ فاصل بين الرئيس والمرءوس ثم بين المسلم وغير المسلم،

٢- ولما لم ينفصل الامر بتّةً وبقى للاجتهاد موضع ومُتّسع كان بعض العمال يضرب الجزية على حديثى العهد بالاسلام،

٣- ولكن مع هذا لم يتفق ذلك فى مدى الخلافة الاموية الامرات معدودات يشهد بذلك الفحص والتقصى وامرار النظر والكدّ فى البحث والتنقيب ومع ذلك فكلما وقع مثل هذا لم يكن له بقاء فاما ان يكون الامة هى التى تقيم النكير على العامل او يصل الخبر الى الخليفة فيرد عمله ويمنعه عن الوقوع فى مثله ثانيا ففى سنة ١٠١ لما كتب الحجاج الى البصرة بردّ من اسلم من اهل القرى الى مساكنهم وضرب الجزية عليهم ضجّ القرّاء وخرجوا يبكون مع البُكاة من اهل القرى وبايعوا عبد الرحمن بن الاشعث مشمئزين من عمل الحجاج منكرين عليه كما هو مشروح فى تاريخ الكامل لابن الاثير وكذلك لما اقتدى الجراح الحكمى بصنيع الحجاج كتب اليه عمر بن عبد العزيز يامره باسقاط الجزية والواقعة مذكورة فى حوادث سنة ١٠١ فى تاريخ الكامل وكذلك لما فعل يزيدُ بن ابى مسلم فى افريقية سنة ١٠٢ه اَلّبَ الناس عليه و قتلوه وكتبوا الى الخليفة يزيد بن عبد الملك فكتب اليهم انى ما كنتُ مُستحسنًا

عمل یزید والقصّة مذکورة فی الکامل تحت حوادث سنة ۱۰۲ وکان اخر ما وقع
مثل ذلک ما فعل اشرس فی خراسان فاورث ثورة واشترک العرب مع
الثایرین ونصروهم اما خلفاء بنی امیة فلم یثبت من احد منهم مثل ذلک وانما
کان اراد عبد الملک وضع الجزیة علی من اسلم من اهل الذمّة فکلّمه ابن حجیرة
فترک والقصّة مذکورة فی المقریزی بنوع من التفصیل (انظر صفحة ۷۸ من
الجزء الاول) والآن نقصّ علیک بعض خیانات المولّف،

(۱) ذکر وقعة الحجاج وترک نکیر القرّاء علیه وبیعتهم علی ید ابن الاشعث
انکاراً علی صنیع الحجاج،

(۲) ذکر وقعة الجراح (الجزء الثانی صفحة ۳۰) وترک انکار عمر بن عبد العزیز
علیه ومنعه عن ضرب الجزیة علیهم،

(۳) ذکر واقعة یزید بن ابی مسلم وترک ان الناس قتلوه وان الخلیفة
یزید بن عبد الملک استصوب صنیعهم ای قتلهم یزید بن ابی مسلم،

(۴) ذکر واقعة اشرس ولم یذکر ان العرب قاموا علیه وکانوا مع الثایرین علیه
ولما ثبت ان ضرب الجزیة علی حدیثی العهد بالاسلام لم یأمر به احد من
خلفاء بنی امیة وانما کان اجتهاداً من بعض العمّال بناءً علی ان اسقاط الجزیة
یورث نقصاً فی الخراج وان الخلفاء کلما عثروا علی ذلک منعوا العمّال عن ضرب
الجزیة وردّوا عملهم وانه کلما وقع مثل ذلک تالّب العلماء والخیار من الناس

واقاموا النكير على ضارب الجزية حتى قتلوا بعض العمال فاستحسن الخليفة قتله فهل المولف ان يحمل وزر بعض العمال على بنى امية كافة وهل يصح قوله،

"ولم يكن عمال بنى امية يأتون هذه الاعمال من عند انفسهم دائما بل كثيرا ما كانوا يفعلونه بامر خلفائهم كما قد رايت مما كتبه معاوية الى وردان" (الجزء الثانى صفحة ٢٢)

اما كتاب معاوية الى وردان فتقدم ذكره وليس فيه للمولف موضع حجة،

قال المولف

"انه لما راى اهل الذمة ان الاسلام لا ينجيهم من ذلك عمد بعضهم الى التلبس بثوب الرهبنة لان الرهبان لا جزية عليهم فادرك العمال غرضهم من ذلك فوضعوا الجزية على الرهبان واول من فعل ذلك منهم عبد العزيز بن مروان عامل مصر فامر باحصاء الرهبان وفرض على كل راهب دينارا"، (الجزء الثانى صفحة ٢٠ مستندا الى المقريزى صفحة ٤٩٢ من الجزء الثانى)؛

ايها الفاضل المؤلف اما هذا الاجتراء اما هذا الاختلاق اما هذا الكذب الظاهر؟

هاك نص المقريزى "ثم قدم اليعاقبة فى سنة احدى وثمانين الاسكندروس فقام اربعا وعشرين سنة ونصفا وقيل خمسا وعشرين سنة ومات سنة ست ومائة ومرت به شدائد صعبة منها مرتين الطلب منه فيهما استة

الا دينار وفى ايامه امر عبد العزيز بن مروان فامر باحصاء الرهبان فاحصوا واخذت منهم الجزية على كل واحد دينار وهى اول جزية اخذت من الرهبان" (الجزء الثانى من المقريزى صفحه ۴۹۲)

فهل تجد فى هذه العبارة ادنى اشارة الى ان عبد العزيز او احد غيره شدد فى الجزية فاختار والرهبنة طلبا للنجاة من الجزية فما نفعهم وانما فيها ان عبد العزيز بن مروان وضع الجزية على الرهبان وهذا ليس فيه كبير شئ فان الرهبان وان كانوا معافون عن الجزية ولكن لما لم يكن الامر منصوصا لا فى الكتاب ولا فى السنة كان للاجتهاد فيه مساغ فاجتهد عبد العزيز واخطاء،

انه هذا البحث | لو سردنا كل ما قال المولف عن جور بنى امية وعمالهم واستيثارهم الاموال واسرافهم فى استلابها وبينا ما فى كل قول من التحريف والتدليس وتغيير المعنى والخيانة فى النقل وصرف العبارة عن وجهها لطال الكلام واحتجنا الى عمل كتاب منفرد بنفسه فلاجل ذلك اقتصرنا على كشف بعض دسايسه مع انه قل من كل وغيض من فيض[1]،

[1] ومما يناسب ذكره فى هذا المقام ان المولف لما انجز الجزء الاول من كتابه ارسله الى فكتبت اليه بعد الاعجاب به انه لابد من ذكر مصادر الروايات فى كل موضع وذلك لاجل انى كنت اخاف عليه التدليس، فاظهر المولف فى مقدمة الجزء الثانى انه عمل بذلك، ويذكر الكتاب والجزء والصفحة ولكن من الاسف ان كل هذا ما اجدى نفعا فانه ما يذكر المطبعة ولاجل هذا كابدت فى تطبيق مصادر كتابه محنة عظيمة فان النسخ مختلفة ولا يدرى اى نسخة ارادها وبسبب ذلك ما اهتدنا الى اكثر خياناتها ومن المحقق المستيقن به انه ما نقل عبارة الا وعمل فيها شيئا من التحريف والتغيير ومن كان فى ريب من ذلك فليراجع الاصول ويكابد محنة التطبيق ليؤمن بما قلته مع حيرة داندها ش-۱۲

ونقول بعد كل ذلك ان موضوع الكتاب ليس لابيان تمدن الاسلام
فاىّ متعلق فى ذلك لابداء مساوى بنوامية ولعلك تقول لابد فى تاريخ
تمدن الاسلام من بيان منهج السياسة وانها هل كانت موسسة على الاستبداد
والجور او العدل والنصفة فجر ذلك الى كشف عوار بنى امية عرضا ولكن
انا اشدك بالله اما كان لِاحدٍ منهم ماثرةٌ تذكر ومنقبة تنقل وسياسة تنفع
البلاد ومعدلة تعم الناس، نعم ان بنى امية لايوزنون بالخلفاء الراشدين وليس
هذا عارًا عليهم ولا فيه حطٌّ لمنزلتهم فان ادراك شأو الراشدين واللحوق بهم
امرٌ خارج عن طوق البشر وليس فيه مطمعٌ لاحد ولا موضع رجاء لمجتهد ولكن
التوازن والتكايل بين الاموية والعباسية وانما هم ملوك فيهم المحسن والمسئ والعادل
والجاير والناسك والخليع والحازم والمغفل بل الذى اعدلهم سيرة وامثلهم
طريقة واوفاهم ذمما وارضاهم طورا لايخلو عن عثرات لا تقال وهنات
لا تذكر. فلو لزم المولف جادة الانصاف ووفى لكل حد قسطه واعطى كل ذى حق
حقه لاستراح واستراحنا ولكنه مال الى واحد فاطرى فى مدحه ونال من
الآخر فاسرف فى تهجينه وذمه ثم انه لم يفارق فى مدحه وذمه عمود الكتاب
اى ذم العرب والحط من شانهم فانه ذم بنى امية لانهم العرب بحتة ومدح
العباسيين لا لانهم العرب او انهم من سلالة هاشم او من اقرباء النبى بل لان
دولتهم دولة عجمية وسنبين مرضته فى ذلك سابقا،

وقد حان لنا ان نذكر طرفا من مآثر بني امية وسيرتهم ومبلغهم من حسن السياسة وتعمير البلاد وتمهيد السبل وتوطيد الامن واقامة المرافق وتعميم المعارف

اعلم ان دولة بني امية عبارة عن معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام فاما ما عداهم فلم تطل مدتهم وليس لعبرة بهم ان احسنوا او اساؤا

فاما معاوية فنذكر من سيرته ما ذكره المؤرخ المسعودي في مروجه مع نوع من الاختصار قال

كان من اخلاق معاوية انه كان يأذن في اليوم والليلة خمس مرات

كان اذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه ×××
فيخرج الى المسجد فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسي
ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابي والصبي والمرأة
ومن لا احد له فيقول ظُلِمتُ فيقول أعِزّوه ويقول عُدي عليّ
فيقول ابعثوا معه ويقول صُنع بي فيقول انظروا في امره حتى اذا
لم يبق احد دخل فجلس على السرير ثم يقول ائذنوا للناس على قدر
منازلهم فاذا استووا جلوسا قال يا هؤلاء انما سميتم اشرافا
لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ارفعوا الينا حوائج من لا يصل
الينا فيقوم الرجل فيقول شهد فلان فيقول افرضوا له ويقول

اخر غاب فلانٌ عن اهله فيقول تعاهدوهم واقضوا حوائجهم، ثم يؤتى بالغداء، والكاتب يقرع كتابه فيأمر فيه، حتى يأتى على اصحاب الحوائج كلهم وربما قدم اليه من اصحاب الحوائج اربعون او نحوهم على قدر الغداء،

واطال المسعودى فى بيان اعمال معاوية يوميا ثم قال بعد حكاية معترضة "فلنرجع الان الى اخبار معاوية وسياسته وما وسع الناس من اخلاقه وما افاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب به القلوب واستدعى به النفوس حتى آثروه على الاهل والقرابات" ثم ذكر بعد ذلك عدة وقايع تركناها هربا عن الاطناب،

فاما عبد الملك فقال المدائنى "كان يقال معاوية احلم وعبد الملك احزم وهو الذى جعل على بيوت الاموال والخزائن رجاء بن الحيوة ذلك المحدث المشهور وعلى كتابة الخراج والجند سرجون بن منصور الرومى (وهو نصرانى) وحوّل الدواوين من الرومية والفارسية الى العربية وزاد على ما كان فرض معاوية للموالى خمسة فبلغها عشرين ودخل فى بيعته عبد الله بن عمر ومحمد بن حنفية" ذكر كل ذلك صاحب العقد فى ترجمته وقد سبق من نسكه و عبادته ما فيه كفاءة فيما مر،

وممّا ينقم عليه تاميره الحجاج واكن الدولة تحتاج فى ابتداءها واوّل نشاءتها

الی مثال ذلک وهذا ابومسلم الخراسانی مُوسس الدولة العباسیة قتل ستمایة الف
رجل صبراً وهذا ابوجعفر المنصور فعل بالهاشمیین مالم یسبق له نظیر فی الاسلام
ومع ذلک فانی اعوذ بالله ان اقوم ذابّاً عن الحجاج ومدافعاً عنه۔

اما الولید فکان اهل الشام یفتخرون به وحق لهم ذلک قال صاحب العقد الفرید
"کان الولید عند اهل الشام افضل خلفایهم واکثرهم فتوحاً، واعظمهم نفقةً فی
سبیل الله بنی مسجد دمشق ومسجد المدینة ووضع المنابر واعطی المجذومین حتی
اغناهم عن سوال الناس واعطی کلّ مُقعد خادماً وکل ضریر قایداً وکان یمر بالبقال
فیتناول قبضة فیقول بکم هذه فیقول بفلس فیقول زد فیها فانک تربح" وهو
الذی وسّع مسجد النبیّ وذهّب البیت قال الیعقوبی ان الولید بعث الی ملک
الروم یعلمه انه قد هدم مسجد رسول الله فلیعنه فیه فبعث الیه بمایة الف مثقال
ذهباً ومایة عامل واربعین حملاً فسیفساء ۔۔ وبعث الولید الی خالد بن عبدالله
القسری وهو علی مکة بثلثین الف دینار فضربت صفایح وجعلت علی باب الکعبة ۔۔
فکان اول من ذهّب البیت فی الاسلام وحج الولید سنة ۹۱ لینظر الی البیت والی المسجد
وما اصلح منه والی البیت وتذهیبه"

وقال الیعقوبی کان اول من عمل البیمارستان للمرضی ودار الضیافة واول
من اجری علی العمیان والمساکین والمجذومین الارزاق،

وقال السیوطی فی تاریخه للخلفاء "وکان مع ذلک (ای کونه جباراً ظلوماً)

يختن الايتام ويرتب لهم المؤدبين

ثم ان الدول تعرف اقدارها بآثارها وتقضى بفضلها بعملها واخلد الآثار التى تتفاضل بها مقادير الملوك وتتطاول بها رتب الدول كثرة الفتوح واستتباب امور الملك والرعية وتوطد دعائم العدل وانتشار العلم ودولة بنى امية قد اخذت من كل ذلك قسطا وضرب فى كل ذلك بسهم

اما كثرة الفتوح فقد بلغت دولتهم منها غاية ليس وراءها مُطّلعٌ لطامح انقضت ايام الخلافة الراشدة والاسلام يزخر عبابه فى جزيرة العرب وديار الشام و مصر وبلاد الفرس فلما تسنمت بنو امية عرش الخلافة ازداد الاسلام فتوحا واتسعت ممالكه وغلب سلطانه وامتدت سطوته ودخلت البلاد النائية المترامية الاكناف فى حوزة حكمه فملكوا ما لم يملكه احدٌ من ملوك الاسلام قبلهم ولا بعدهم فتحوا اطرابلس وطنجة وسائر بلاد المغرب والاندلس وبلاد الديلم والاتراك والمغول والسند وقبرص واقريطش ورودس وغيرها من جزائر البحر وغزوا صقلية وصالحوا النوبة وتوغلوا فى بلاد الروم حتى بلغوا اسوار القسطنطنية وضربوا السيف على ابوابها وافتتح السند محمدا لثقفى احدُ ابناء قوادهم وهو ابن سبع عشرة سنة وقد وطئت جيوشهم ثغور الصين وثغور بلاد الافرنج وعاصمة بلاد الروم وحدود بلاد الهند وملكوا من السند الى ثغور بلاد الافرنج طولاً ومن البحر الاحمر الى بلاد الخزر عرضا ودخل فى حوزة ملكهم العرب وديار الشام والعراق والجزيرة ومصر والبجة وبرقة

وتونس ومراكش وطرابلس الاندلس وارمينية وخراسان وفارس وتوران والديلم
وبلاد الران وطبرستان وجرجان وسجستان وخوارزم وماوراء النهر وبلاد الخزر
وافغانستان والسند وبعض بلاد الهند فمن يدانيهم من الملوك فى سعة الملك و
من يباريهم فى كثرة الفتوح،

استتباب امور الملك والرعية ليس فى سعة الملك كبير فضل اذ المريكن هنا تأنق فى
امور المملكة ونظر فى امور الرعية وقيام بمصالح العباد وتشمير فى عمارة البلاد ولذلك
الذين فتحوا البلاد ولم ينظروا فى امور اهلها ليسوا عند ذوى الخبرة من اهل التاريخ
اسمى منزلةً واعلى مكانةً من قطاع الطريق الذين يعثون فى الارض مفسدين
اما ملوك بنى امية فقد جمعوا بين سعة الملك والنظر فى امور العباد وكثرة الفتوح وعمارة
البلاد حفروا الانهار وعمروا الطرق وشادوا المصانع وابتنوا المساجد وبذلوا الاموال
وقضوا الحوائج وكشفوا المظالم واغمروا المجذمين والعميان المقعدين الصعاليك
بالجزيل من الاحسان واجروا لهم الارزاق ثم رتبوا المصالح ودونوا الدواوين حصنوا
الحصون وبنوا المدن والقصور،

فقد مر من ذلك شئ كثير فيما تقدم من سيرهم واعمالهم واليك هذه العجالة
التى هى كانطل من الوبل ما المصانع فانه حصن هشام المتقب على يد حسان
بن ماهون الانطاكى وحفر له خندقا وبنى حصن قطرغاش وحصن مورة و
حصن بوقا من عمل انطاكية وبنى سعيد بن عبد الملك سور الموصل وهو الذى

هدامه الرشيد وفرش الموصل بالحجارة ابن تليد صاحب شرطة المروانيين وسار العباس بن الوليد الى مرعش فعمرها وحصنها ونقل الناس اليها وبنى لها مسجدا جامعا واسكن مسلمة بن عبد الملك مدينة الباب اربعة وعشرين الفا من اهل الشام على العطاء وبنى هريا (مخزنا) للطعام وهريا للشعير وخزانة للسلاح و امر بكبس الصهريج ورم المدينة وشرفها واحدث الحجاج احد امراءهم فى سنة ٨٣ مدينة واسط بين الكوفة والبصرة وبنى مسجدها وقصرها والقبة الخضراء بها واحدث سليمان بن عبد الملك فى ولايته مدينة الرملة ومصّرها وبنى فيها القصور ومسجدا وحفر الآبار والقنى والصهاريج وبنى احد قوادهم عقبة بن نافع الفهرى بافريقية قيروانها واحدثوا غيرها من المدن والحصون والارباض فى الاندلس وحدود بلاد الروم والسند،

ثم امّنوا الطُرق وعمّروا السُبل فكان موضع قيروان غيضة ذات طرفاء وشجر لا يرام من السّباع والحيات والعقارب القتّالة فاحدثوا فيه تلك المدينة الزهراء فاصبحت طرق افريقية آمنةً مستأنسة بعد ما كانت مستوحشة ذات مخاوف ومهالك وكانت الطريق فيما بين انطاكية والمصيصة مسبعة يعترض للناس فيها الاسد فوجّه الوليد اليها اربعة الاف جاموسة وجاموس فنفع الله بها واذكر ما كتب ابن الاثير فى حوادث سنة ٨٨ "ان الوليد كتب الى البلدان جميعها باصلاح الطرق وعمل الآبار" وكان الموضع الذى فيه

نهر سعيد بن عبد الملك غيضة ذات سباع فاقطعه اياها الوليد فحفر وعمر ما هنالك ولما بغى سيل الجراف بمكة فى سنة ٨٠ فى زمن عبد الملك امر عامله بعمل ضفاير الدور الشارعة على الوادى وضفاير المسجد وعمل الردم على افواه السكك وحفر عدى عامل البصرة من قبل عمر بن عبد العزيز بامره نهر عدى

ومن الاخبار التى تدل على شدة حبهم للرعية وكثرة بذلهم فى ازاحة خللها واماطة اذاها انه شكا اهل البصرة الى عامل يزيد على العراق ملوحة مائهم فكتب بذلك الى يزيد فكتب اليه ان بلغت نفقة هذا النهر خراج العراق فانفقه عليه فحفر لهم النهر الذى يعرف بنهر ابن عمر وحفر عمالهم الجابرون الغاشمون (كما يقول جرجى افندى زيدان) والمنتسبون اليهم كثيرا من الانهار غير ما ذكر كنهر معقل ونهر دبيس ونهر الاساورة ونهر عمرو ونهر ام حبيب ونهر حرب ونهر بزيدان ونهر سلم ونهر نافذ ونهر خيرتان ونهر مرة نهر مرة ونهر بشار ونهر بزور ونهر حبيب ونهر ذراع ونهر ابى بكرة وغيره من الانهار وهذه الانهار كلها حفروها[١] بالبصرة فما بال غيرها من البلاد،

اما ما بذلوا من الاموال وافرغوا من الجهد فى بناء المسجد النبوى وتذهيب البيت والمسجد الاموى الذى هو معدود من احدى العجايب

---

[١] راجع لكل ذلك البلاذرى۔

فی کثرة نفقاته وعظمة بناءه ودقة صنعه وبهجة منظره وحسن نظامه فهو اشهر من نار على علم،

وبنو اُمیّة هم اول من اتخذ دار الضرب فی الاسلام فکسوا به الاسلام رفعة واغنوه عن نقود الروم والفرس ونحوه عما اوعده الروم بنقش شتم النبی صلى الله علیه وسلم علیها وهم الذین نقلوا الدفاتر والدواوین عن الفارسیة والرومیة والقبطیة الى العربیة[1] فزادت العربیة انتشارا ونفوذا ولم یمض بُرهة من الدهر حتى اصبحت هذه البلاد عربیة النزعة واللسان وهم اوّل من بنى مستشفى فی الاسلام بنوه بدمشق سنة ثمان وثمانین جعلوا فیه الاطباء وامروا بحبس المجذومین واجروا لهم الارزاق وهم اول من انشاء دار العمیان وهم اول من عمل دار الضیافة بعد[2] عمر بن الخطاب وهم اول من رتب للایتام وتحنن الیهم ورتب لهم المودبین لیعلموهم[3]،

نشر المعارف والعلم انّ العلم فقد نُحِرَ بهم بحره وزهر بدره فالقرآن الذی هو عمود الاسلام وراس العلوم وینبوع المعارف ادرك الامة قبل اختلافها فیه عثمان بن عفان وهو اُموی[4] ثم بعد ذلك اختلط العرب بالعجم واحتکت بهم ففسدت لغتها واسلمت العجم فلم تستطع السلامة من اللحن فکثر التصحیف فی القرآن

---

[1] راجع لکل ذلك فتوح البلدان للبلاذری،

[2] الیعقوبی ذکر الولید،

[3] السیوطی ذکر الولید،

وانتشر بالعراق ففزع الحجاج وهو احد امراء بنی امیة الی کتابه فوضعوا النقط والاعجام[1] فعصموا به کتاب الله ان یتطرق الیه التصحیف والتحریف تطرقهما الی التوراة والانجیل و والله هذا اعظم مبرّة برّبها الاسلام لایسا ویها مبرّة واعظم منّة مُنّ بها علی الدین لایوازیها منة ثم کتب الحجاج المصاحف وفرّقها فی الامصار وکان الولید الذی رماه صاحبنا بالاستهانة بالقرآن یحث الناس علی حفظ القرآن وکان یجزل الصلات لحفظته ویضرب الذین لم یحفظوه[2] فکثر حفظته وعظم قدرهم وجلت رتبتهم،

اما التفسیر ففی ایامهم نبغت اجلة المفسرین من التابعین وفی ایامهم دُوّن التفسیر فی الصّحف فاول من وضع فی التفسیر ابن جبیر بامر عبدالملک[3] ثم مجاهد

اما الحدیث فکانوا یُدرّون علی اهله الصلات ویبعثون الیهم بالهدایا ویجرون لهم الارزاق لینقطعوا الی حفظ الحدیث وروایته ونقله وکانوا یکرمون الفقهاء ویجلّون مقامهم ویراعون جانبهم فقد کان یصیح صائحُ من بنی مروان فی موسم الحجّ الا لایفتی الناس الا عطاء بن ابی رباح، اجلالا لشانه ولکثرة علمه بالمناسک[4] وکان عبدالملک امر الحجاج وهو امیرُه

---

[1] ابن خلکان ذکر الحجاج، ـه میزان الاعتدال للذهبی ذکر عطاء بن دینار،

[2] العقد اخبار الولید وابن الاثیر سنة ۸۸،

[3] ابن خلکان ذکر عطاء، [4] مقدمة شرح الموطا للزرقانی،

على الموسم ان يقدم ابن عمر فى الحج ويقبض اثره فى المناسك وكان سالم
ابن عبدالله والقاسم بن محمد والشعبى وميمون بن مهران والزهرى و
ايوب بن ابى تميمه وقبيصة بن ذؤيب ورجاء بن الحيوة اعزة عند بنى امية
وكان اكثرهم عمالاً لهم وهم اساطين الحديث وائمة الرواية واعلام النقل
وانت تعلم ان احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لولا استودعت بطون
الصحف لضاعت بهلاك العلماء واسراع الموت فيهم فاسئلك بحرمة
التاريخ من امراهل هذا الشان بتدوينها فى الكتب اليس هو عمر بن عبد العزيز
الاموى فجاء فى الآثار ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الافاق "انظروا حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه" وكتب الى ابى بكر بن حزم راس
المحدثين ان انظر ماكان من سنة او حديث فاكتبه لى فانى خفت دروس العلم
وذهاب العلماء وقد كتب ابن حزم كتبا فى الحديث فتوفى عمر ثم وضع الكتب فيه
ربيع بن صبيح وكان عمر بن عبد العزيز يكتب الى الامصار يعلمهم السنن والفقه[1]

اما اصول اللغة ونحوها فقد كان تدوينها بامر امراء بنى امية ذكر
ابن خلكان (المجلد الاول صفحة ٢٤٠) ان ابا الاسود الدؤلى استاذن زياد بن ابيه
وهو والى العراقين يومئذ ان يضع للعرب مايقيمون به لسانهم فابى ثم بدا له
صواب رايه فدعا الدؤلى وقال له ضع للناس الذى نهيتك ان تضع لهم

[1] مقدمة الزرقانى على الموطا

فوضع واخذ عنه ما وضعه عتبة بن مهران المهري وعنه ميمون وعنه عبد الله الحضري وعنه عيسى بن عمر وعنه الخليل[١] وهؤلاء كلهم كانوا في عصر بني امية وهم واضعوا النحو وعلله ونوا اصوله،

اما الشعر فقد فنى عصرهم فتقت السنة الشعراء وارتفع قدرهم وانتشر ذكرهم فحول الشعر وامراء القول وفرسان القريض هم الفرزدق الدارمى وجرير الخطفي ثم الاخطل التغلبي ثم عمر بن ابى ربيعة القرشي ثم كثير عزة وجميل بثينة ومجنون ليلى وذو الرمة غيلان ثم نصيب هؤلاء كلهم كانوا يقصدون نحو بجياد قصايدهم فكانوا يغمرونهم بالجوائز فنطقت السنتهم بما اصبح زهرة للادب وزينة للغة،

وكانوا يحثون الناس على اقتناء الادب وتناشد الشعر وتدارس اخبار الشعراء وكانوا يستوفدون الشعراء ويستزيرونهم ويجيزونهم بالاموال الجزيلة وكانوا يرسلون ابناءهم الى البادية ليتسلقنوا الادب ويتلقفوا اللغة من افواه الاعراب واهل البادية وقد جمع الوليد بن يزيد عبد الملك ديوان العرب واشعارها واخبارها وانسابها ولغاتها[٢]،

اما علم التاريخ والسير والمغازي فبعصرهم افتتح عصره وبامرهم ارتفع امره فحول اصحاب السير والمغازي هم وهب بن منبه عالم اليمن المتوفى سنة ١١٤ ومحمد بن مسلم الزهري صاحب عبد الملك المتوفى سنة ١٢٤

---

[١] ابن خلكان المجلد ٢ صفحة ٣٨٠، [٢] الفهرست صفحة ٩١،

وموسى بن عقبة المتوفى سنة ۱۴۱ وهؤلاء كلهم كتب فى التاريخ والسير والمغازى[۱]
ووضع فى ايامهم عوانة المتوفى سنة ۱۴۷ كتاب التاريخ وكتاب سيرة معاوية و
بنى امية وكان للملوك بنى امية رغبة شديدة فى استطلاع الاخبار الماضية و
حوادث الامم الخالية قال المسعودى انه كان معاوية يجلس لاصحاب الاخبار
فى كل ليلة بعد العشاء الى ثلث الليل ثم ينام ثلث الليل ثم يقوم فياتيه غلمان
وعندهم كتب فيقرؤن عليه ما فى الكتب من اخبار الامم وسير الملوك وسياسات
الدول ولم يصبر على ذلك حتى استحضر عالم عصره عبيد بن شربه من
صنعاء اليمن وسأله عن الاخبار المتقدمة وملوك العجم وسبب تبلبل الالسنة
وامر افتراق الناس فى البلاد وامره ان يدون ما علمه وعاش عبيد الى ايام
عبد الملك وتوفى وله من الكتب كتاب الامثال وكتاب اخبار الماضيين[۲]
واخذ عنه اناس سماهم ابن النديم وكان من رواته زيد الكلابى فى ايام
يزيد بن معاوية عارف بايام العرب واحاديثها (الفهرست صفحة ۹۰) وقد
كان هشام مشغوفا بالسير والاخبار فنقل له جبلة بعض كتب سير الفرس
من الفارسية الى العربية[۲] وامر هشام النقلة فنقلوا له كتاب تاريخ ملوك الفرس
وقوانين دولتهم وتراجم رجالهم وكان هذا الكتاب مصورا ثم نقل سنة ۱۱۳

[۱] راجع كشف الظنون وتذكرة الحفاظ،

[۲] كتاب الفهرست صفحة ۲۴۴،

راه المسعودی سنة ۳۰۳ فی مدينة اصطخر كما ذكر فی التنبيه (صفحة ۱۰۶)،

اما علوم الفلسفة ومنها الطب والكيمياء فكان لهم فی نقلهما الی العربية آثار صالحة فنقل ابن اثال لمعاوية كتب الطب من اليونانية وهذا اول نقل فی الاسلام وكان فی البصرة فی ايام مروان بن الحكم طبيب ماهر يهودی النحلة عارف بالعربية اسمه ماسرجويه فنقل ماسرجويه هذا كناش القس اهرون ابن اعين فی السريانية الی العربية فلما تولی عمر بن عبد العزيز وجد هذا الكتاب فی خزائن الكتب فی الشام فاخرجه الی الناس وبثه فی ايديهم وخالد بن يزيد بن معاوية حكيم آل امية اول من طلب علوم الفلسفة فی الاسلام وخبره انه كان يطمع فی الخلافة فلما وثب مروان عليها رغب خالد عنها الی طلب العلم فاستقدم جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر ومنهم مريانوس الرومی الذی اخذ عنه صنعة الكيميا والطب وامرهم بنقل الكتب من اليونانية والقبطية الی العربية فنقلوها له ولخالد كلام فی الكيميا والطب وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما وله رسايل دالة علی معرفته وبراعته كما اخبر به ابن خلكان وقد ذكر له ترجمة صالحة ابن النديم فی فهرسته ونقل سالم كاتب هشام وهو ابو جبلة المار ذكره رسايل ارسطاطاليس الی الاسكندر فبناء علی ما قدمنا من القول بنو امية هم اول من استقدم الفلاسفة

ـــه اخبار الحكما، وعيون الانباء،

واستدناهم فی الاسلام هم اوّل من امو بنقل العلوم الی العربیة فی الاسلام هم اول من انشأ خزاین للکتب فی الاسلام وقد اضربنا صفحا عما کان لآل امیة بالاندلس فی السیاسة والعلم من المآثر الحسنة والاعمال الجلیله والسیر العادلة فهل لك ایها الفاضل المؤلف الی الاذعان للحق من سبیل والی الرجوع من ضلال الرای من طریق،

صنیع المولف بالعباسیة عهدنا الوحوش الضاریة مع جفاء طبعها وقسوة قلبها وکونها مطبوعة علی الافتراس والفتك والتروی بالدم اذا دخلت غابتها واحاطت بها عایلتها تبدل القسوة بالرحمة والغلظة باللطف والغضب بالحنان فبینما احدها عبوس کاشر عن الانیاب کالح الوجه مستبشع المنظر کریه الهیئة اذ هو هش بش حنون عطوف یذوب لطفا ورقة وکذلك شان قواد الجند وابطال الحروب فانك تری احدهم اذا قاتل الاکفاء وناطح الاقران فهو شهاب ینقض ونار تلتهب وسعیر تفور واذا عاشر الاصحاب فهو الینهم جانبا واحلاهم خلقا واوسعهم حلما وارقهم طبعا وقد جربنا المولف وعجمنا عوده فی معاملته مع اعدایه (بنی امیة) فلننظر کیف حاله فی معاشرته مع اصدقایه (العباسیة)

قال المولف،

"فحبب بعضهم الی المنصور ان یستبدل الکعبة بما یقوم مقامها فی العراق

تکون حجا للناس فبنی بناء سماه القبة الخضراء تصغیرا للکعبة وقطع المیرة

فی البحر عن المدینة" (الجزء الثانی صفحة ۳۰)

وقال،

"وارادالمعتصم ان یستغنی عن بلاد العرب وقد بنی سامرا بقرب بغداد واقام فیها جنده فانشاء فیها کعبة وجعل حولها طوافاو اتخذ منی وعرفات" (الجزء الثانی صفحة ۳۲)

وقال،

فلما افضت الخلافة الی المامون - فاخذ اشیاعه وصرح باقوال لم یکونوا یستطیعون التصریح بها خوفا من غضب الفقہاء وفی جملتها القول بخلق القرآن ای انه غیر منزل (الجزء الثالث صفحة ۱۴۱)

غیر خاف علی احدان العباسیة ان افتخروا وتطاولوا علی منازعیهم فی الریاسة فمعظم فخرهم وابین حججهم انهم بنوعم النبی وسدنة البیت وخدمة الحرم ودعاة الاسلام ونقباء القرآن وصاحبنا یقول ان المنصور وهو موسس دولتهم وفاتحة خلفاءهم بنی القبة الخضراء ارغاما للکعبة وقطع المیرة عن المدینة تضیقا علی اهلها وان المامون وهو افضل خلفاءهم دینا وورعا کان ینکر نزول القرآن وان المعتصم وهو فحلهم وواسطة عقدهم بنی کعبة فی سامرا وجعل لها طوافا" ولعلک تقول ان الحاکم بالعدل والقایم بالقسط لیس له حمیم ولا عدو فهو یتحری الصدق ویدا ویرمع الحق کیفما دار

فالمؤلف اذا اتتها سيئة من بني العباس قضى عليهم من غير محاباة بهم ولا ميلٍ اليهم وكذلك اذا عرضت له حسنةٌ من بني امية فهو يُوفّي حقهم من الاستحسان وحسن القول وتنويه الذكر هيهات هذا كان رجاؤنا فخاب الظن وكذب الامل وذهب الثقة فان المؤلف لما ذكر بني امية عقد لمثالبهم ابوابا منها استخفافهم بالدين وذكر فيه قتال عبد الملك مع ابن الزبير فقلب الرواية كما اسبقنا ذكره فلو كان مغزى المؤلف الصدق وبيان الحقيقة لكان يعقد بابا للعباسية ايضا يذكر فيه استخفافهم بالكعبة وانكارهم لنزول القرآن وههنا موضع نظرٍ الى دقّة مكيدة المؤلف وحسن احتياله فانه يريد من طرف الغضّ من الكعبة والحط من القرآن ومن طرف الانتصار للعباسية والذبّ عنهم لاجل انهم كسروا شوكة العرب واتخذوا العجم بطانتهم وعمود دولتهم فذكر استخفافهم بالكعبة ولكن مغموسًا صبغ داعمت عنوان ثروة الدولة الاسلامية لياخذ بطرفي المطلوب ويفوز ببغيتيه معًا،

اما كشف الجلية عن اصل الحال فالامر ان من يدعي الخلافة (وهي منصب ديني) ويرشح لها نفسه لا يجد الى ذلك سبيلا الا بالتظاهر بالدين والتصبّغ به ونصب نفسه لاعلاء كلمته ورفع مناره وحمل الناس على تعظيم شعائره والتدلّي الى خاصّة القائم به ليجلب عطف القلوب وجذب الاميال ورضاء العامّة والتحبّب الى الناس ولذلك كان الخلفاء من بنو امية

والعباسية كلاهما) يصلّون بالناس ويؤمّونهم ويحضرون الموسم ويحجون بهم اويرسلون من خاصّتهم من ينوب منابهم ويخطبون على المنابر ولذلك لما اراد اهل الشام المكيدة بعلى رضى الله عنه ورفعوا المصاحف كفّ اصحاب عليّ من القتال ولما قال عليّ هذه خديعة منهم قالوا اذا لم تذعن لهذا خلعناك فلم يقدر على خلافهم ورضى بما لم يكن وفق رضاه ولما فعل يزيد ما فعل ضجّ الناس وكادوا يسطون عليه لولا انه مات عاجلاً ولما اراد الحجاج قتال ابن الزبير اغراهم بأن ابن الزبير الحد فى الدين وزاد على الكعبة ولذلك نصب المناجيق تلقاء الزيادة التى كان زادها ابن الزبير رض ولما جاهر الوليد ابن يزيد بالفسق قاموا عليه وقتلوه ولما قال ابو نواس يمدح الامين وصدّر القصيدة بهذا البيت

الا فاسقنى خمراً وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سرّاً فقد امكن الجهر

اتخذ المامون هذا وسيلة لاغراء الناس على مخالفة الامين فهل تصدق بعد كل ذلك بأن المنصور او المعتصم كان يقدر او يسوغ له ان يصغر شان الكعبة ويمس من شرفها وهل كان يقدر المامون ان يحمل الناس على انكار القرآن والعياذ بالله - فامّا استشهاد المؤلف فى هذه الواقعة بابن الاثير وغيره فكله تحريفٌ وتدليسٌ وسوءُ تاوُّلٍ ولولا انى سئمت من كشف دسائسه مرة بعد اخرى لاوضحتُ الامر وبيّنت حقيقة الحال،

قال المؤلف ولما تولى المعتصم سنة ٢١٨ واصطنع الاتراك والفراغنة

ازداد العرب احتقارا فی عیون اهل الدولة وتقاصرت ایدیهم عن اعمالها حتی فی مِصْرَ فاَصْبَحَ لفظ العربی مرادفا لاحقر الاوصاف عندهم ومن اقوالهم العربی بمنزلة الکلب اطرح له کسرة واضرب راسه وقولهم لا یفلح احد من العرب الا ان یکون معه نبیٌّ ینصره الله به (الجزء الثانی صفحہ ۳۱ و ۳۲)

من احسن اعمال آل عباس عند المولف انهم صغّروا شان العرب و ساموها الخسف وسلّطوا علیهم الاعاجم والاتراك وجعلوهم ولاة البلاد بیدهم الامرُ والنهی والرفع والخفض والعقد والحل والنقض والابرام ذکر ذلك فی غیر مواضع وکلما ذکر وجد من نفسه ارتیاحًا الیه وشفاءً لحزازته وهِزةً لعطفه ونیلًا لاربه ومع ان الواقعة مکذوبة او مُحرّفة علی جری عادته فنحن لا ننازعه فی ذلك ونطوی الحدیث علی غرته ولکن نقول اذا مدح احدٌ مثلا دولة افرنسا وقال انهم ذللوا الفرنساویین وارغموا انفهم واستلبوهم المناصب وقلدوا الولایات الاجانب وجعلوهم قابضی ازمّة الامور یولّون ویعزلون وینفقون ویمسکون فهل هذا یکون مدحًا ترضی به دولة فرنسا او یکون هذا عارا یستحیا منه ومسبّة یستنکف عنها وشناعة تشمأزُّ عنها القلوب وانصف من نفسك ماکان حظُّ العباسیین من تولیة الاعاجم اما آل برمك فلا ننکر فضلهم ومحاسن آثارهم ولکنهم مع کل ذلك استاثروا بالاموال وانفردوا بالاعمال حتی لم یکن حظّ الخلفاء من الخلافة

الا الاسم فقط فاضطر الرشيدُ الى النكبة بهم و ازالة دولتهم واما الاتراك فصاروا يلعبون بالخلافة كل ملعب فكم قتلوا من الخلفاء و سجنوهم و عذبوهم بانواع العذاب وتركوهم يموتون جوعًا يسألون الناس ولا يعطون فهل هذه سياسةٌ تمدح ومأثرة تذكر وفضيلة تفتخر بها-

الخلفاء الراشدون

المولف حرفته تاليف الكتب متكسبا به وهو يعرف حق المعرفة انه لو انتقد على الخلفاء الراشدين و نال منهم تصريحا كسد سوقه وخاب صفقته- فدبر لذلك حِيَلًا يكاد لا يتفطن لها اللبيب المتيقظ فضلا عن البليد المتساهل فعمد الى رؤس المثالب ونسبها اليهم بانواع الاحتيال فتارة بتبديدها فى ثنيات الكلام و ابعادها عن موضع العناية و تارةً بايرادها عرضا موهما عدم الاعتناء بها وتارة بذكرها محتالا لها عذرا واذا كررت النظر فى كلامه وتصفحت ما فيه وجمعت ما هو مبدّدٌ ونظمت ما هو مفرّق تكاد تستيقن ان الخلفاء كانوا من اشد اعداء العلم وانهم اباَدُوا الكتب و الخزانات واضطهدوا على اهل الذمة وجعلوهم اذلاء لا يؤذن لهم ولا يوبه بهم،

اما كونهم اعداء العلم فبيّن المؤلف ذلك اجمالا وتفصيلا فقال،

"كان الاسلام فى اول امره نهضة عربيّة والمسلمون هم العرب كان اللفظان مترادفين فاذا قالوا العرب ارادوا المسلمين و بالعكس و لاجل

هذه الغاية امر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب وتمكن هذا الاعتقاد فى الصحابة لما فازوا فى فتوحهم وتغلبوا على دولتى الروم والفرس فنشأ فى اعتقادهم انه لا ينبغى ان يسود غيرا لعرب ولا يتلى غير القرآن"

"اما فى الصدر الاول فقد كان الاعتقاد العام ان الاسلام يهدم ما كان قبله فرسخ فى الاذهان انه لا ينبغى ان ينظر فى كتاب غير القرآن"

"فتوطدت العزايم على الاكتفاء به عن كل كتاب سواه ومحو ما كان قبله من كتب العلم فى دولتى الروم والفرس كما حاولوا بعد ئذ بهدم ايوان كسرى واهرام مصر وغيرها من آثار الدول السابقة"

(الجزء الثالث صفحه ۳۹)

"وبناءً على ذلك هان عليهم احراق ما عثروا عليه من كتب اليونان والفرس فى الاسكندرية وفارس (الجزء الثالث صفحه ۱۳۵)

حريق الخزانة الاسكندرية

لم يقتنع المؤلف بذلك فعقد باباً لاثبات ان حريق الخزانة الاسكندرية كان بامر عمر بن الخطاب واطال واطنب فى ذلك واستدل عليه بستة دلائل نحن نذكرها مع الرد عليها اجمالاً،

قال اولاً،

ﻟ الجزء الثالث من تمدن الاسلام،

"قد رايت فيما تقدم رغبة العرب فی صدر الاسلام فی محو کل کتاب غير
القرآن بالاسناد الی الاحاديث النبوية وتصريح مقدمی الصحابة"،
الذی ذکر قبل ذلك (انظر صفحة ۳۹) وحوّل عليه هٰهنا اقوال منها
"ان الاسلام يهدم ما کان قبله" وکلنا يعرف ان المراد به ابطال عوايد
الجاهلية ومزعوماتها وليس المراد محو الکتب او احراق الخزاين ولکن لما کان
المؤلف دخيلا فينا غريب الذوق والمعرفة حمل الکلام علی غير محله او لعله
عارف يتجاهل وبصير يتعامی
ومنها قول النبی عليه السلام "لا تصدقوا اهل الکتاب ولا تکذبوهم
وقولوا آمنّا بالذی انزل علينا وانزل عليکم والهنا والهکم واحدٌ"، ولا شیٔ
متعلق فی هذا بل هو يخالف لما يريده المؤلف فان الحديث يامر بالايمان
بما انزل الی اهل الکتاب اما الاغفال عن تصديق اهل الکتاب وتکذيبهم فلاجل
کون اهل الکتاب غير موثوقين بهم فی الرواية ومنها ان النبی صلی الله
"رای فی يد عمر ورقة من التوراة فغضب حتی تبين الغضب فی وجهه
ثم قال لم آتکم بها بيضاء نقية والله لو کان موسی حياً ما وسعه الا اتباعی"
وهذا لا مستند فيه للمولف فان النبی صلی الله عليه وسلم خاف علی عمر
عنايته بالتوراة والتصديق بکل ما فيها مع کونها مغيرة لعبت بها ايدی
النقلة ولذلك قال لم آتکم بها بيضاء نقية، وهذا لا يستلزم بل ليس فيه

ادنى اشارة الى محوهما والحاقل الضرر بهما ونزيدك ايضاحاً للكلام بما فيه ثلج الصدر وفصل الخطاب، فاعلم ان عمود الاسلام وقطب رحاه هو **القران** وعليه المعوّل وهو المستمسك فى كل باب وكان هو العروة الوثقى فى هذا العصر للصحابة واهل القرن الاوّل و **القران** له عناية كبرى بالتوراة والانجيل وهو الذى نوّه بذكرهما وعظم شانهما، **فقال**

فاسئلوا اهل الذكران كنتم لاتعلمون ۔ والمراد بالذكر التوراة،

انا انزلنا التوراة فيها هدى،

ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من

فوقهم ومن تحت ارجلهم،

مصدقا لما بين يدى من التوراة،

مصدقا لما بين يديه من التوراة،

ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه (اى التوراة والانجيل)

ولاجل ذلك كان عدة من اجلة الصحابة منقطعين الى قرءة التوراة والانجيل والاعتناء بحفظهما ودرسهما ولم يكتفوا بها بل اخذوا يروون ويتفاوضون كل ما وجدوا من اقاصيص اهل الكتاب ومروياتهم وقد اعترف بذلك المولف نفسه فقال،

"وقد رايت ان العمدة فى التفسير على النقل بالتواتر والاسناد من النبى

فالصحابة فالتابعين، والعرب يومئذ اميون لا كتابة عند هم فكانوا

اذا تشوقوا الى معرفة شئ مما تتوق اليه نفوسهم البشرية من اسباب

الوجود وبدء الخلقة واسرارها سالوا عنه اهل الكتاب قبلهم من

اليهود والنصارى، فكانوا اذا سئلوا عن شئ اجابوا بما عند هم من

اقاصيص التلمود والتوراة بغير تحقيق فامتلات كتب التفسير من هذه

المنقولات (الجزء الثالث صفحة ٦٤)

وذكر المؤلف عقيب ذلك وهب بن منبه وانه قرء من كتب الله

٧٢ كتابا ثم قال،

"فكان للعرب ثقة كبرى فيه"، وقال بعد ذلك فكانت كتب التفسير

في القرون الاولى محشوة بالاخبار وفيها الغث والسمين مما نقل اليها

من الاديان الاخرى"،

فانظر كيف يناقض المولف نفسه فقال،

"فنشاء في اعتقادهم انه لا ينبغي ان يسود غير العرب ولا يتلى غير القرآن

"فرسخ في الاذهان انه لا ينبغي ان ينظر في كتاب غير القرآن"،

"فتوطدت العزايم على الاكتفاء به (اى القرآن) عن كل كتاب سواه

ومحو ما كان قبله من كتب العلم"،

ويقول الآن ان كتب التفسير في القرون الاولى محشوة بالاخبار.....

ممانقل اليها من الاديان الاخرى وانه كان للعرب ثقة كبرى فى وهب بن منبه وان كتب التفسير امتلاءت من منقولات اهل الكتاب" فلو كان اهل القرن الاول يبغضون ما سوى القرآن ويمحون ما كان قبله من العلم كما يدعيه المؤلف فمن روى الاسرائيلات واقاصيص التلمود والتوراة وحشاها فى التفسير ولما كان المسئلة موضع زيادة تفصيل نزيد له توضيحا وتفصيلاً،

كانت لعدة من الصحابة وكبراء التابعين عناية كبرى بالتوراة وغيرها من الكتب السماوية فمنهم ابو هريرة الذى كان ملازما للنبى عليه السلام منقطعا الى الرواية، لم يدانيه احدٌ فى كثرة الرواية كان مشغوفا بقراءة التوراة ودرسها قال العلامة الذهبى فى طبقات الحفاظ فى ترجمته "عن ابى رافع عن ابى هريرة انه لقى كعبا (وهو حبر اليهود) فجعل يحدثه ويسأله فقال كعب ما رايت احداً لم يقرء التوراة اعلم بما فيها من ابى هريرة"

ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص اسلم من هاجر قبل الفتح، قال الذهبى فى طبقات الحفاظ "كان من اوعية النبى صلعم قواما تاليا لكتاب الله طلابة للعلم كتب عن النبى صلى الله عليه وسلم علما كثيرا + + وكان اصاب جملة من كتب اهل الكتاب وادمن النظر فيها ورأى فيها عجايب،

ومنهم عبد الله بن سلام حليف الانصار اسلم وقت مقدم النبى وفيه ورد قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب نقل الذهبى بعد ذكر فضايله

وکونه عالم اهل الکتاب روایة بالاسناد یرفعه الی عبد الله بن سلام انه جاء
الی النبی صلی الله علیه وسلم فقال انی قرءت القرآن والتوراة فقال اقرء
هذا لیلةً وهذا لیلةً، فهذا ان صح ففی الرخصة فی تکریر التوراة وتدبرها،
ومنهم کعب الاحبار کان من کبار اهل الکتاب، اسلم فی زمن ابی بکر
قال الذهبی قدم من الیمن فی دولة امیر المومنین عمر فاخذ عنه الصحابة
وغیرهم واخذ هو من الکتاب والسنة عن اصحابه، فهذا کانه تصریح فی ان
الصحابة اخذوا عنه علم اهل الکتاب،
ومنهم وهب بن منبه قال الذهبی فی ترجمته "وعنده من اهل
الکتاب شئ کثیر فانه صرف عنایته الی ذلك، وکان ثقة واسع العلم ینظر
بکعب الاحبار فی زمانه، وعن وهب قال یقولون عبد الله بن اسلام اعلم
اهل زمانه وکعب اعلم اهل زمانه،
فهل بعد کل هذا یصح قول المولف، ان الصحابة ومن یلیهم کانوا
یقولون انه لا ینبغی ان یقرء کتابٌ غیر القرآن ومحوا ما کان قبلهم من
العلم عیاذاً بالله،

قال المولف

ثانیاً جاء فی تاریخ مختصر الدول لابی الفرج" ثم نقل روایة الاحراق
برمتها واطال فی اثبات ان ابا الفرج لیس باوّل من روی هذه الروایة

بل ذکرها عبد اللطیف البغدادی عرضاً فی ذکره عمرو الواری و ذکرها القفطی فی تاریخ الحکماء"

لا ننازع المولف فی ان ابا الفرج مسبوق فی ذکر هذه الروایة بالقفطی والبغدادی ولکن ماذا ینفعه ذلک فان البغدادی وهو اقدمهما من القرن السادس للهجرة وذکر الروایة من غیر اسناد ومن غیر احالة علی کتاب

تعود المولف من صباه بقبول مختلقات اهل الکتاب واوهامهم فسبّب ذلک انّه یزن التاریخ الاسلامی بمیزانٍ غیر میزاننا ولذلک یصغی الی کل صوتٍ ویستمع لکل قائل لا یعرف ان هذا الفن له اصول و مبادو قواعد وما لم یکن الروایة مطابقة لهذه الاصول الیقینیة لا یلتفت الیها اصلا

منها ان الناقل للروایة لابد ان یکون شهدا لواقعة فان لم یشهد فلیبیّن سند الروایة ومصدرها حتی یتصل الروایة الی من شهدها بنفسه

ومنها ان یکون رجال السند معروفین بصدقهم ودیانتهم،

ومنها ان لا یکون الروایة تخالف الدرایة ومجاری الاحوال،

ولذلک اهتم مورخو الاسلام قبل کُلّ شیٔ بضبط اسماء الرجال والبحث عن سیرهم واحوالهم ودیانتهم ومحلهم من الصّدق فدوّنوا کتب اسماء الرجال وکابدوا فی ذلک محنة یضیق عنها النطاق البشری فعملوا کتبا غیر محصورة منها الکامل لابن عدی والثقات لابن حبان و تهذیب

الكمال للمزی وتهذیب التهذیب لابن حجر وطبقات الصحابة لابن سعد ولابن ماکولا وابن عبد البر ولابن الاثیر ولابن حجر، وتهذیب الاسماء للنووی ومیزان الاعتدال للذهبی ولسان المیزان لابن حجر۔

وتجد کتب القدماء من مورخی الاسلام کلها او اکثرها کتاریخ البخاری وسیرة بن اسحاق وتاریخ الطبری وابن قتیبة وغیره مسلسل الاسناد مبینة الاسماء لیمکن نقد الروایة ومعرفة جیدها من زیفها،

فاول شیء یهمنا فی هذا البحث ان نری هل ذکر القفطی والبغدادی هذه الروایة مسندة وذکرا مصدر الروایة واسماء رواتها ام لا،

وانت تعلم ان البغدادی والقفطی من رجال القرن السادس والسابع فای عبرة بروایة تتعلق بالقرن الاول یذکرانها من غیر سندٍ ولا روایة ولا احالة علی کتاب،

اما کتب القدماء الموثوق بها فلیس لهذه الروایة فیها اثر ولا عین هذا تاریخ الطبری والیعقوبی والمعارف لابن قتیبة واخبار الطوال للدینوری وفتوح البلدان للبلاذری والتاریخ الصغیر للبخاری وثقات ابن حبان والطبقات لابن سعد قد تصفحناها وکررنا النظر فیها ومع ان فتح الاسکندریة مذکور فیها بقضها وقضیضها لیس لحریق الخزانة فیها ذکر،

وعلاوة علی ذلک فان فی فتح مصر کتبا مختصة بذلک مثل خطط مصر

للکندی وکشف الممالک لابن شاهین، وتاریخ مصر لعبد الرحمن الصوفی و تاریخ مصر لابن برکات النحوی وتاریخ مصر لمحمد بن عبد الله وغیرها مما ذکرها صاحب کشف الظنون، **والمقریزی** جمع واوعی کل ذلك ولم یترك روایة ولا خبراً یتعلق بمصر الاوذکره عند تفصیل الفتح ولم یذکر هذه الواقعة عند ذکر فتح الاسکندریة،

قال المولف،

واما خلو کتب الفتح من ذکر هذه الحادثة فلابد له من سبب والغالب انهم ذکروها ثم حذفت بعد نضج التمدن الاسلامی واشتغال المسلمین بالعلم ومعرفتهم قدر الکتب فاستبعدوا حدوث ذلك فی عصر الخلفاء الراشدین فحذفوه ولعل لذلك سبباً اخر،، (الجزء الثالث صفحه ۴۵)

لا یستبعد مثل هذا الکلام عن مثل المؤلف وکیف یقدر دیانة مورخی الاسلام وشدتهم فی تحری الصدق ونزاهتم عن التغییر والتحریف وبراءة ساحتهم عن الحذف والاسقاط، من صار غریزته تعمد الکذب فی التحریف والخیانة والمحو والاثبات،

قال المولف،

ثالثاً وردفی ماکن کثیرة من تواریخ المسلمین خبر احراق مکاتب فارس وغیرها علی الاجمال وقد لخصها صاحب کشف الظنون، (الجزء الثالث صفحه ۴۵)

انظر الى هذا الكذب الفاحش والخديعة الظاهرة فان صاحب الكشف
ذكر ما ذكر من عند نفسه من غير نقل رواية ولا استناد ولا استشهاد بكتاب ولا ذكر
ناقل ومورخ وصاحبنا يقول انه ورد فی اماكن كثيرة من تواريخ المسلمين خبر
احراق المكاتب وقد لخصها صاحب كشف الظنون فاين الاماكن الكثيرة واين التلخيص
اما قول صاحب كشف الظنون فقد ورد عرضا وتطفلا وكذلك قول ابن خلدون
وامثال هذه المواقع لا تحتاج الى كبير اعتناء وزيادة احتياط ولذلك لما ذكر
ابن خلدون فتح مصر واسكندرية وهو المظنة لذكر هذه الواقعة لم يتفوه
بهذه الرواية اصلا ثم ان ابن خلدون وصاحب كشف الظنون من رجال
القرن الثامن وبعده فما لم يذكرا انهم من اين اخذا هذه الرواية
لا يعبأ بها ولا يلتفت اليها،

قال المولف،

رابعًا ان احراق الكتب كان شايعًا فی تلك العصور، كما فعل عبد الله بن
طاهر بكتبٍ فارسية (الجزء الثالث صفحه ٢٥)

يا للعجب، عبد الله بن طاهر من قواد المامون ومن رجال الادب
وهذا العصر يمتاز بكونه عصر العلم والمعارف وقد كانت للدولة ورجال
حاشيتها وغيرهم عناية كبرى بكتب الاوائل وكانوا يستجلبون الكتب من
فارس وبلاد الروم وغيرها تجد تفاصيل ذلك فی فهرست ابن النديم

وطبقات الاطباء واخبار الحكماء وغيرها فكيف يعوّل على هذه الرواية التي ما ذكرها احدٌ من ثقات المورخين وانما استند المولف ببراون المعلم الانكليزي وهو نقلها من تذكرة دولت شاه وهو كتابٌ جامعٌ لكل غثٍ وسمين، ولو صحّ نقلها لكانت على سبيل الندرة والشذوذ فهل يصح قول المولف انّ إحراق الكتب كان شايعًا في تلك العصور،

قال المولف، خامسا،

ان اصحاب الاديان في تلك العصور كانوا يعدّون هدم المعابد القديمة واحراق كتب اصحابها من قبيل السعي في تائيد الاديان الجديدة،

(ثم ذكر في تائيد ذلك عمل امبراطورة الروم واحراق كتب المعتزلة،

نعم ولكن الراشدين لا يقاسون بغيرهم، ثم ان المسئلة ليست قياسية فما لم تثبت بالرواية لا ينفع مجرد القياس،

قال المولف، سادسا،

في تاريخ الاسلام جماعة من ايمة المسلمين احرقوا كتبهم من تلقاء انفسهم،

(ثم ذكر بعض الحوادث في تائيد ذلك،)

عجبًا لمثل هذا الاستدلال، فان المرء يجوز له ان يفعل بملكه ما يشاء واىّ حجةٍ في ذلك لاحراق كتب قوم آخر،

إنّ هذه القياسات الواهية لا تغنى شيئًا ولكن لو اردنا ان نستشفى

فی ذات البحث بالقیاس والامارات فعلینا ان ننظر ما کان صنیع الخلفاء الراشدین باٰثار اهل الذمة ومعابدهم وکنائسهم وامتعتهم وخزاینهم، ان الاصل فی ذلک عهد النبی صلی الله علیه وسلم الذی کتبه لاهل نجران وقد ذکره القاضی ابو یوسف فی کتاب الخراج بحروفه

ولنجران وحاشیتها جوار الله وذمة محمد النبی رسول الله علی اموالهم وانفسهم وارضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشیرتهم وبیعهم وکل ما تحت ایدیهم من قلیل وکثیر (کتاب الخراج طبع مصر صفحة ۴۱)

فکان هذا العهد هو العمدة للصحابة عضوا علیه بالنواجذ وتجد فی کل عهود الخلفاء الراشدین کعهد نجران ومصر وشام والجزیرة ان هذا الاصل ای ذمة الله ورسوله علی ارضهم وکل ما تحت ایدیهم من قلیل وکثیر محفوظ باقٍ علی حیالته الاصلیة وعهد مصر هو هذا-

"هذا ما اعطی عمرو بن العاص اهل مصر من الامان علی انفسهم ودمهم واموالهم وصاعهم ومدهم وعددهم"

وذکر فی معجم البلدان روایة بزیادة "ان لهم ارضهم واموالهم لا یتعرضون فی شیء منها" وانت تعلم ما لعمر الفاروق من العنایة والشدة فی وفاء العهد باهل الذمة وغیرهم ومع عهده بانهم لا یتعرضون فی شیء من اموالهم وکل ما تحت ایدیهم کیف کان یتعرض لخزانة کتبهم التی هی من انفس ذخائرهم واغلاها

اعلم انّ مسئلة احراق الخزانة الاسكندرية موضوعٌ مهم عند اهل اوربا وقد طال البحث فيه اثباتا ونفيا وممّن الّم بهذا البحث اجمالا وتفصيلا المعلم وايت والمعلم وسماسي الفرنساوي في ترجمة كتاب الافادة والاعتبار وواشنگتن ارونگ ودريپر الاميركاني صاحب كتاب الجدال بين العلم والدين وكرچٹن وسيديو الفاضل الشهير الفرنساوي في تاريخ الاسلام والمعلم رينان الفيلسوف الفرنساوي في خطبة الاسلام والعلم، وارتمر گلبين،

وللمعلم كريل الالماني رسالةٌ مستقلةٌ في هذا البحث قدّمها في المؤتمر الشرقي الّذي انعقد سنة ۱۸۷۰ء، اَورَدَ فيها كل ما كتب الباحثون في هذا البحث نفيا او اثباتا وقد طالعت كل هذه المباحثات والمقالات وعملتُ رسالة في لسان الاردو وترجمت الى الانكليزية ثم الى العربية ترجمها احد من اهل الشام وطُبِعَ شطرٌ منها في جريدة ثمرات الفنون، ومجلة المقتبس،

والحاصل ان محققي اهل اوربا قضوا بانّ الواقعة غير ثابتة اصلا منهم جيبن المؤرخ الشهير الانكليزي ودريپر الاميركاني وسيديو الفرنساوي وكريل الالماني والمعلم رينان الفرنساوي عمدتهم في انكار ذلك امران الاول انّ الواقعة ليس لها عينٌ ولا اثرٌ في كتب التاريخ الموثوقة بها كالطبري و ابن الاثير والبلاذري وغيرها مما مرّ ذكرها واول من ذكرها عبد اللطيف و القفطي وهما من رجال القرن السادس والسابع ولم يذكرا مصدرًا للرواية

ولا سند- والثانی ان الخزانة کان ضاعت قبل الاسلام اثبتوا ذلك بدلائل لا یمکن انکارها،

قال المؤلف،

"قلنا فیما تقدم ان الخلفاء الراشدین کانوا یخافون الحضارة علی العرب×× ولذلك منعوهم من تدوین الکتب×× وکان هذا الاعتقاد ناشئاً فی الصحابة والتابعین و تمسّك به جماعة من کبارهم وکانوا اذا سئلوا اندوین علیهم ابوا واستنکفوا (الجزء الرابع صفحة ٥٠)

اطال المؤلف ونقل قولاً عدیدة فی ثبات ان الخلفاء الراشدین و الصحابة کانوا یمنعون الناس عن الکتابة والتالیف ونحن لا ننکر انّ هذا کان مذهباً لبعض الصحابة والتابعین ولکنّ الّذین رخّصوا فی ذلك وامروا بالکتابة والتدوین اکثرهم عدداً وارجحهم میزاناً واوسعهم نفوذاً وقد عقد المحدث المشهور القاضی ابن عبد البر فی کتابه جامع بیان العلم (انظر صفحة ٦٢ طبع المصر) باباً فی ثبات ذلك ونحن ننقل شطراً منها، قال "وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم قیّدوا العلم بالکتاب وعن عبد الملك بن سفیان عن عمه انه سمع عمر بن الخطاب یقول قیّدوا العلم بالکتاب وعن معن قال اخرج الی عبد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود کتاباً وحلف لی انه خط ابیه بیده وعن ابی بکر قال سمعت الضحاك یقول اذا سمعت شیئاً فاکتبه ولو فی حائطٍ وعن سعید بن جبیر انه کان

يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه فى واسطة الرحل فاذا نزل
نسخه وعن ابى قلابة قال الكتاب احب الينا من النسيان وعن ابى مليح قال
يعيبون علينا الكتاب وقد قال الله علمها عند ربى فى كتاب، وعن عطاء عن
عبد الله بن عمرو قلت يارسول الله أأقيّد العلم قال قيد العلم قال عطاء
قلت وما تقييد العلم قال الكتاب وعن عبد العزيز بن محمد الدراوردى:
قال اول من دون العلم وكتبه ابن شهاب وعن عبد الرحمان بن ابى الزناد
عن ابيه قال كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كلما سمع فلما
احتيج اليه علمت انه اعلم الناس وعن سوادة بن حيان قال سمعت معاوية
بن قرة يقول من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالما وعن محمد بن علىّ قال
سمعت خالد بن خداش البغدادى، قال ودّعت مالك بن انس فقلت
يا ابا عبد الله اوصنى قال عليك بتقوى الله فى السر والعلانية والنصح لكل
مسلم وكتابة العلم من عند اهله وعن الحسن انه كان لا يرى بكتاب العلم باسا
وقد كان املى التفسير فكتب وعن الاعمش قال قال الحسن ان لنا كتبا
نتعاهدها وقال الخليل بن احمد اجعل ماتكتب بيت مال وما فى صدرك
للنفقة وعن هشام بن عروة عن ابيه انه احترقت كتبه يوم الحرّة
وكان يقول وددت لوان عندى كتبى باهلى ومالى وعن سليمان
بن موسى قال يجلس الى العالم ثلاثة رجلٌ ياخذ كل ما سمع فذلك

حاطب ليل ورجلٌ لايكتب ويستمع فذلك يقال له جليس العالم ورجل
ينتهى وهو خيرهم وهذا هو العالم وعن اسحق بن منصور قال قلت لاحمد
بن حنبل من كره كتابة العلم قال كرهه قومٌ ورخّص فيه اٰخرون قلت له
لولم يكتب العلم لذهب قال نعم لولا كتابة العلم اىّ شئ كنّا نحن قال اسحق و
سالتُ اسحق بن راهويه فقال كما قال احمد سواء وعن حاتم الفاخر و
كان ثقة قال سمعت سفيان الثورى يقول انى احب ان اكتب الحديث
على ثلاثة اوجهٍ حديث اكتبه اريد ان اتخذ دينا وحديث رجل اكتبه
فاوقفه لا اطرحه ولا ادين به وحديث رجل ضعيف احب ان اعرفه
ولا اعبأبه وقال الاوزاعى تعلّم مالا يوخذ به كما تتعلم ما يوخذ به و
عن سعد بن ابراهيم قال امرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن
فكتبناها دفترًا دفترًا فبعث الى كل ارضٍ له عليها سلطانٌ دفترا وعن
ابى زرعة قال سمعت احمد بن حنبل ويحيى بن معين يقولان كل من
لايكتب العلم لايومن عليه الغلط وعن الزهرى قال كنا نكره كتاب العلم
حتى اكرهنا عليه هؤلاء الامراء فرانيا ان لانمنعه احدا من المسلمين وذكر
المبرد قال قال الخليل بن احمد ما سمعت شيئًا الاكتبتهُ ولاكتبته الا حفظته ولا حفظته الا نفعنى

الضغط على اهل الذمة

ادعى المولف ان عمر بن الخطاب كتب
عهدًا لنصارى اهل الشام وذكر نصه منقولا عن سراج الملوك للطرطوشى

واعترف بان فيه ضغطا على النصارى ثم اعتذر لعمر بان نصارى الشام
كانوا يميلون الى قيصر الروم وكانوا من بطانته يتجسسون له فلذلك احتيج
الى الشدة بهم والتضئيق عليهم،

كل من له ادنى مسكة فى التاريخ يعرف ان **الطرطوشى** ليس من
رجال التاريخ وكتابه كتاب ادب وسياسة لا كتاب تاريخ وهو من رجال القرن
السادس وانما المعوّل فى هذا البحث المصادر القديمة الموثوقة بها كتاريخ الطبرى
والبلاذرى واليعقوبى وابن الاثير وغيرها وهذا ما كان يخفى على المولف ولكن
لاجل هوى نفسه اعرض عن كل هذه وتشبث برواية واهية تخالف الروايات
الصحيحة المذكورة باسنادها ورجالها، قال القاضى ابو يوسف وهو مع
كونه من رجال الفقه عارف بالمغازى والسّير بعد ما نقل عهد نصارى
الشام وليس فيها ادنى ضغط عليهم ولا شدة بهم،

"فلما راى اهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا
اَشِدَّاء على عدو المسلمين وعونا للمسلمين على اعدائهم فبعث اهل كل مدينة
رسلهم ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالا من قبلهم يتجسسون الاخبار
عن الروم وعن ملكهم وما يريدون ان يصنعوا فاتى اهل كل مدينة رسلهم
يخبرونهم بان الروم قد جمعوا جمعا ×× فكتب ابو عبيدة الى كل وال ممن خلفه
فى المدن التى صالح اهلها يامرهم ان يردوا عليهم ما جبى منهم من الجزية

والخراج وكتب اليهم ان يقولوا لهم انما رددنا عليكم اموالكم لانه قد بلغنا
انه جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك
وقد رددنا عليكم ما اخذنا عنكم، فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم الاموال
التى جبوها منهم قالوا ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم يردوا
علينا شيئاً واخذوا كل شئ بقى لنا حتى لا يدعوا شيئاً (كتاب الخراج طبع مصر صفحہ ۱۳۹)

فانظر الى هذا العدل الذى عجز البشر عن ايتان مثله واعتراف اهل الذمة
بذلك والى قول المولف ان عمر ضغط عليهم وانما ضغط لانهم كانوا من جواسيس الروم،

تاريخ العلوم الاسلامية | اما تاريخ العلوم الاسلامية والتقريظ عليها فقد فقدنا
اليوم فى ملتنا من يقوم بهذا العبأ فكيف برجل دخيل فينا مزجاة البضاعة قليل
المعرفة لا يعرف من علومنا الا اسماءً اتلقاها من ظواهر الكتب وافواه العامة فاذا
تكلم عن شئ منها خبط وخلط وهاك امثلة من ذلك قال "وكان المسلمون غير العرب
هناك اكثرهم الفرس وهم اهل تمدن وعلم فعمدوا الى استخدام القياس العقلى فى استخراج
احكام الفقه من القرآن والحديث فخالفوا بذلك اهل المدينة لانهم كانوا اشد يدى
التمسك بالتقليد" (الجزء الثالث ص ١٧) ظن الرجل ان استخدام القياس والراى من
مبتدعات الفرس مع ان اول من سمى بهذا الاسم هو ربيعة الراى صرح بذلك
السمعانى فى الانساب وهو من اهل المدينة وممن اخذ عنه الامام مالك، وان
المالك رض والشافعى رض وابا يوسف رض والامام محمد رض كلهم يستعملون القياس مع كونهم

من العرب اَرُومةً وموطنًا واداءً وانّ الفارق بين اصحاب الرأى والحديث ليس استعمال القياس وفصل القضية فى ذلك تجده فى كتاب حجة الله البالغة لشاه ولى الله الدهلوى من متاخرى حكماء الاسلام - ثم قال المولف "فكان من جملة مساعى المنصور فى تصغير امر المدينة وفقهائها وخصوصاً مالك بعد ان افتى بخلع بيعته انه نصر فقهاء العراق القائلين بالقياس وكان كبيرهم يومئذ ابا حنيفة النعمان فى الكوفة فاستقدمه المنصور الى بغداد واكرمه وعزز مذهبه،،

ظلماتٌ بعضها فوق بعضٍ ما كان ابو حنيفة ارفع مكانة عند المنصور من مالك فان ابا حنيفة كان هواه مع ابراهيم الخارج على المنصور وكان افتى بنصرة ابراهيم ولذلك اراد المنصور المكيدة به فاستدعاه وعرض عليه القضاء ولما لم يرض به سجنه وامر بضربه حتى مات فى السجن، اما ما قال عن تصغير امر الامام مالك فيخالف الروايات الصحيحة الثابتة قال القاضى بن عبد البرّ فى كتاب جامع العلم (صفحة ۶۷) عن محمد بن عمر قال سمعت مالك بن انس يقول لما حج ابو جعفر المنصور دعانى فدخلت عليه فحدثته وسالنى فاجبته فقال انى عزمت ان آمر بكتبك هذه التى وضعتها يعنى الموطأ فينسخ نسخا ثم ابعث الى كل مصر من امصار المسلمين منها نسخة و آمرهم ان يعملوا بما فيها لا يتعدوها الى غيرها ويدعوا ما سوى ذلك من هذا العلم المحدث فانى رايت اصل هذا العلم رواية اهل المدينة وعلمهم الخ۔

قال "وكان ابو حنيفة لا يحب العرب ولا العربية حتى انه لم يكن يحسن الاعراب ولا يبالى به

(الجزء الثالث صفحة ۱۱۲ مستندا بابن خلكان) نعوذ بالله من هذا الكذب الظاهر والمين الفاحش، استشهد المؤلف فی هذه الواقعة بابن خلكان والحال ان ابن خلكان ذكر فی تاريخه فی ترجمة ابی حنيفة بعد ذكر محاسنه ان الخطيب البغدادی اطال فی مثالب ابی حنيفة ثم انكر عليه ذلك وقال ما كان يعاب ابو حنيفة الا بقلة العربية فانه قال ولو رماه بابا قبيس ثم اعتذر له بنوع من العذر و ليس فيه اقل شئ يومی الی ان ابا حنيفة كان لا يحب العرب والعربية، ثم ان ابا حنيفة كان ناقما علی العباسية المحامين للفرس و كان من شيعة زيد الامام ابن الامام زين العابدين وكان تلميذ الحماد وهو تلميذ الابراهيم النخعی وكلهم عرب - ثم اصحابه الملازمون له و الناشرون لفقهه و القائمون بدعوته ای ابا يوسف و محمدا و زفر كلهم عرب، اما لحن ابی حنيفة فمعلوم انه عجمی و كم من الاعجام الذين هم رؤس الادب و وجوه العربية كحماد الراوية وغيره كانوا يلحنون وكان هذا طبيعتهم وغريزتهم،

فمن كان هذا مبلغه من العلم و محله من النظر هل يصلح لسلوك هذا الطريق الوعر و الخوض فی غمار هذا البحث الدقيق الذی يحتاج الی التضلع فی العلوم الاسلامية والتوسع فيها مع سعة النظر و وفرة المواد واصابة الرای و شدة الفحص و افراغ الجهد و تكميل الادوات ثم ان الرجل ههنا هو الرجل الذی عرفناه قبل ذلك فی سوء طويته و كامن حقده و تحامله علی العرب و اعتياده بالتحريف و تمرنه بسوء التاول و تلبيس الكلام وهاك امثلة من هذه،

قال (تحت عنوان الفقه) فلما افضی الامر الی بنی العباس واراد المنصور تصغیر العرب واعظام امر الفرس لانهم انصارهم واهل دولتهم کان من جملة مساعیه فی ذلك تحویل انظار المسلمین عن الحرمین فبنی بناءً سماه القبة الخضراء حجاً للناس وقطع المیرة عن الحرمین وفقیه المدینة یومئذ الامام مالك الشهیر فاستفتاه اهلها فی امر المنصور فافتی لهم بخلع بیعته (الجزء الثالث صفحة ۱۷)

وهذا کله کذبٌ واختلاقٌ والمنصور ابعد محلا وابرءُ ساحة من ان یبنی بناءً ارغاماً للکعبة وقد سبق لنا الکلام فیه فاما قطع المیرة عن المدینة فلم یکن الا حجرا علی محمد وتضییقا علیه لما قام بالخلافة وقد صرّح بذلك المقریزی (الجزء الثانی صفحة ۱۴۳) فقال "وذکر البلاذری ان ابا جعفر المنصور لما ورد علیه قیام محمد بن عبد الله قال تکتب الساعة الی مصر ان تقطع المیرة عن اهل الحرمین والامام مالك کان هواه مع محمد یحرض الناس علی موازرته وافتی بخلع بیعة المنصور" فانظر کیف قلب المولف الحکایة وصرفها عن وجهها فخروج محمد وافتاء الامام مالك متقدمان علی قطع المیرة عن المدینة وخروج محمد هو السبب فی قطع المیرة والمولف یقول ان قطع المیرة انما کان ارغاماً للحرمین وان الامام مالك افتی لذلك بخلع بیعته۔

قال المولف بعد ما ذکر رغبة بنی امیة فی الشعر وتنشیطهم للناس (تحت عنوان الشعر وبنو امیة) وقد یتبادر الی الاذهان انهم کانوا یفعلون ذلك رغبة فی الادب وتنشیطاً لاهله لان الشعر سجیةٌ فی العرب ودولة الامویین عربیة

بحتة ولكن الاغلب انهم كانوا يفعلونه للاستعانة بالسنة الشعراء على مقاومة اهل البيت الخ (الجزء الثالث صفحه ١٠٢) فانظر الى هذا التحامل المفرط والحيف الشديد فانه لما لم يجد سبيلا الى انكار ما لبنی امية من الايادی فی ترويج سوق الادب فی رفع منار الشعر والاخذ بناصر علماء العربية واعطاء الصلات المتكاثرة للشعراء احتال لدفعه بابداء احتمال انهم كانوا مدفوعين الى ذلك سياسة،

قال وقد تقدم فی كلامنا عن الفقهاء ان المنصور اخذ بناصر اصحاب الرای والقياس واستقدم ابا حنيفة الى بغداد ونشطه لهذه الغاية وظل الميلُ الى القياس متواصلا فی بنی العباس **والاعتزال** قريب المذاهب الى اصحاب الرای الخ (الجزء الثالث صفحة ١٤٠) انظر الى ما بلغ به حال المؤلف فی جهله بالمعارف الاسلامية حتى انه يقرن بين **الاعتزال والرای** ويعدهما من جنس واحد ولم يدر المسكين ان لا رابط بينهما فان الاعتزال احد المذاهب الكلامية والرای والقياس من احد اصول الفقه ومعظم اصحاب الرای والقياس بل كلهم (الا الشاذ النادر منهم) كابی حنيفة ومحمد وابی يوسف وزفر وابی لولو والطحاوی والخصاف وابی بكر الرازی والدبوسی وغيرهم كانوا ناقمين على **الاعتزال** كانوا يعدّون المعتزلة من اهل الاهواء والضلالة،

قال فلما افضت الخلافة الى المامون فاخذ بناصر اشياعه وصرح باقوالٍ لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء وفی جملتها القول

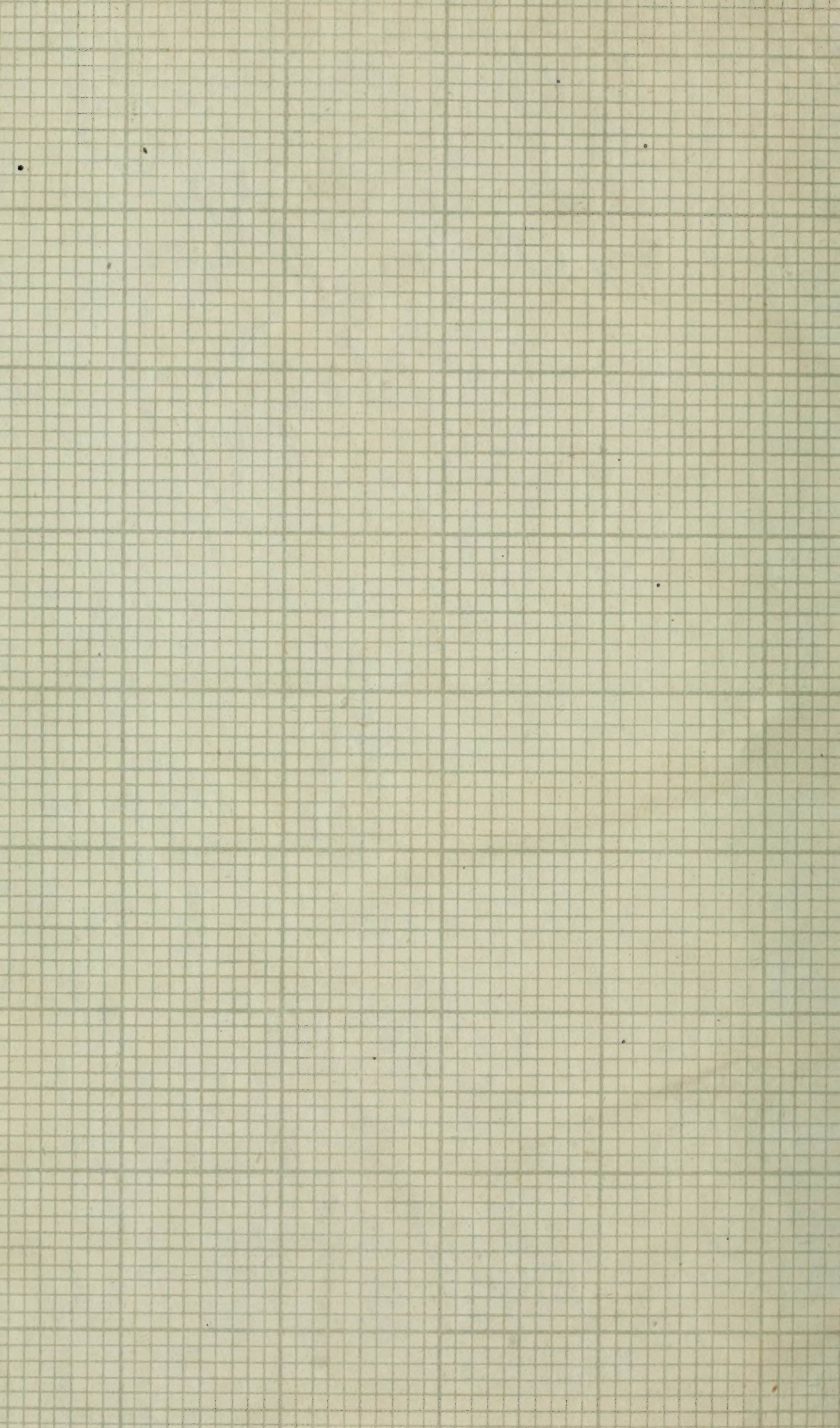
بخلق القرآن ای انه غير منزل (الجزء الثالث صفحة ١٤١)،

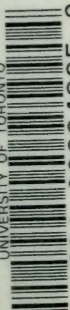
وهل يكون كذب اعظم من هذا فان خلق القرآن اوقدمه لامساس له بالتنزيل اوعدمه فان الاختلاف فی ان هل الكلام صفة حادثه تقوم بالله تعالى وهو صفة قديمة فالمعتزلة قالوا بحدوثه حذرا من تعدد القدماء واهل السنة وغيرهم قالوا بقدمه لان الحادث لايقوم بقديم فاما ان القرآن كلام الله تعالى منزل الى الرسول فهذا لايختلف فيه اثنان۔

قال واما الفلسفة بجدتها فقد كان اصحابها متهمين بالكفر وكان الانتساب اليها مرادفا للانتساب الى التعطيل وقد شاع ذلك فی **بغداد** بين العامة حتى فی ايام المامون ولذلك سماه بعضهم امير الكافرين (الجزء الثالث صفحة ١٧٠) استشهد المولف فی هذا القول باليعقوبی ونحن ننقل عبارته حتى تعرف مقدار خديعة المولف، قال اليعقوبی "وشخص هرثمة من العراق الى مرو سنة ٢٠١ وقيل انه انصرف بغير اذن من المامون فلما دخل على المامون ××× قال من نقرس ولا يمكننی مشی فی محفة ××× وكلم المامون بكلام عليه ودخل معه يحيى بن عامر ابن اسمعيل الحارثی فقال السلام عليك يا امير الكافرين فاخذته السيوف فی مجلس المامون حتى قتل فقال هرثمة قدمت هذه المجوس على اوليائك وانصارك واتوا محمد بن صالح بن المنصور فقالوا نحن انصارد ولتكم وقد خشينا ان تذهب هذه الدولة بما حدث فيها من تدبير المجوس"، (اليعقوبی صفحة ٥٤٦ و ٥٤٧)

ان المامون استوزر حسن بن سهل وكان مجوسيا اسلم فنقم العرب على المامون و قالوا انك قدمت المجوس و قال له يحيى السلام عليك يا امير الكافرين فهذا كله من السياسة لا مساس لها بالفلسفة والاعتزال وابن هرثمة ويحيى بن عامر الحارثي من اهل الجند ما عرفا الفلسفة ولا سمعا بها،

قال المؤلف " ولكن الاسلام كان اقرب الى طلاق حرية الفكر والقول وخصوصا فى اوائله فلم يكن احدهم يستنكف من ابداء ما يخطر له ولو كان مخالفا لراى الخليفة ولذلك كثرت الفرق الاسلامية يومئذٍ وتعددت مذاهب اصحابها فى القراءة والتفسير والفقه وفى كل شيء حتى ذهب بعضهم الى ان سورة يوسف ليست من القرآن لانها قصة من القصص والقائلون بذلك العجاردة (الجزء الثالث صفحة ٦١) انظر الى هذه الخديعة يمدح الاسلام بكونه اقرب الى حرية الفكر ويدس فيه ان بعض الطوائف الاسلامية كانت تنكر ان سورة يوسف من القرآن وهم العجاردة يوهم بذلك ان العجاردة فرقة من الفرق الاسلامية وان انكار بعض سور القرآن كان مذهبا من مذاهب الاسلام مع ان العجاردة وهم حماد عجرد واثنان آخران معروفين بالالحاد والزندقة والمروق عن الاسلام ذكرهم ابن خلكان والشهرستانى وغيرهما،





DS
223
Z38327
1912